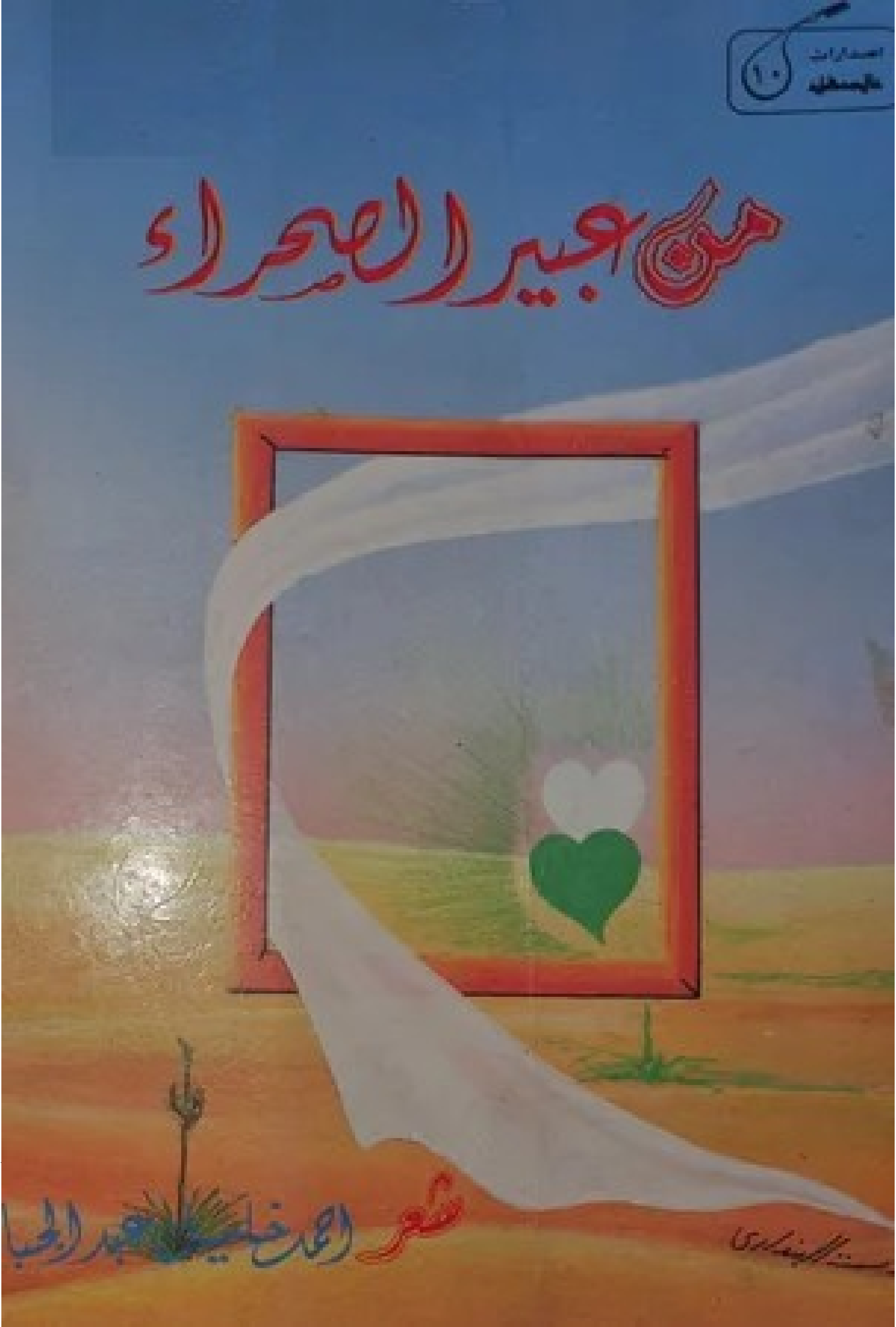

اصدارات
١٠
من عبير الصحراء
شعر

اصدارات
المنهل
١٠

من عبير الصحراء

شعر أحمد خليل عبد الجبار

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الاولى
١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

إهداء

تلبية لرغبة من حظيت
بتقديرهم .. ووفاء للصحراء
وما منحتني من عطاء .. أهدي
هذا الديوان

مقدمة الشاعر

من عبير الصحراء

● زرقة السماء بحر ألفته تجاديفى يوم كان القمر زورقى والشباب قلع شراعي والشعر مزهر صباي، ولا نديم الا النجوم!

● وكان الشاطىء المرتقب ابعد الابعاد، والدنيا، بها فى الدنيا، كانت واحة عبير خضلت زنابقها الأمانى الندية، وكان فى بيدر تلك الواحة عسجد الروح وقبسها وفى فيئها يحتمى الكنار والهزار وبغديرها تستحم عذارى الأحلام.

●● ثم دار الزمان.. ولقيت عوسجه ورمضاءه، وبهت الومض ولاح السراب فلا مزهر يشجى ولا أرج ينشى وكأن واحة العبير رؤى لفها الضباب.

وروضت نفسي على ان العمر آن له ان يطوي شراعه فلابد للفلك ان يستقر وللملاح ان يهدأ وقد غام الشعر الا الصدى ولم يعد باللحن الا جرس خافت الحنين وبدت واحتى بنفسجُها ذابل وأريجها ذكريات!

■ وذات يوم: جاءنى صاحب يتأبط صحيفة والبشر على محياه وجلس الى جانبى باسما وقال: «إنك تزعم ان الوحي قد نضب معينه وان يراعك ودع الشعر لسبل اخرى، وهاك ما ينفى ماتزعم انها قصائد لك ترجمت للايطالية وتقوم الدكتوره ماريا شيمل بترجمتها للألمانية فى بون فهل يعقل ان ينشر شعرك ببردة أجنبية قبل ان يجمع ويصدر بزيه الأصيل؟.

قلت: صدقنى يا صاحبى اننى لم افكر يوما بنشر ديوان لأن ما نظمته فى عهد شبابى كان له ومنه وفيه وبه، واذا راق لمستشرق ان يترجم بعض المنشور مما اوحى به ذلك العهد من عمرى فهل علي وزر؟.

■ فأجاب مندهشا: «ومن قال ان الشعر وزر وان خياله ضرر؟ واكد انه لا يهدف الى احراج او ازعاج او لفتح آفاق للفخر والمباهاة ثم قال: «يا صاحبى ثق ان الذى يحاسبنا على الحرف لا يقدر قيمته ولا يدرك معناه».

وقـال: ان عصرنا يتسم طابعه بضرورة احياء تراثنا والدفع بحضارتنا لكى تزاحم وتسابق ومهما كان إسهام الفرد منا ضئيلا فنفعه اجدى من حبسه خاصة لنهج العهد الذى نعيش فيه ونسير بهديه. . ثم تطلع الى وقال: «وسواء شئت ام ابيت فلم يعد ما سبق ان كتبته ونشرته بالصحف قبل سنين وسنين ملكا لك، ولقد عزمت ورفاقك على نشره بمجموعة للملأ ليظل ضمن سجلنا الأدبى فى عهدة التاريخ». . وقال: «أصخ يا صديقى للنداء فحداؤك القديم قد سار مع القافلة واصبح عند مشارف دارة المنهل بجدة».

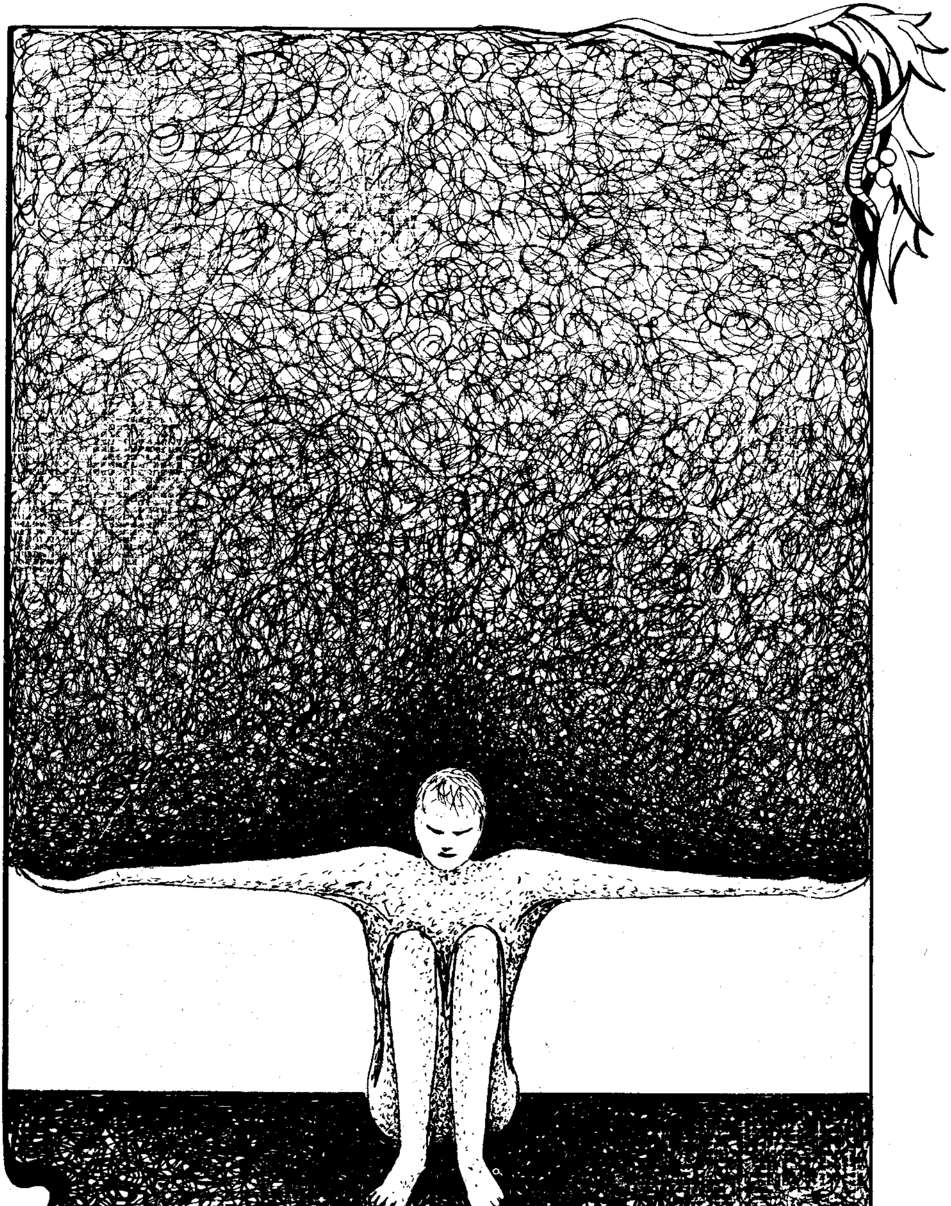
● ولم يبق الا اختيار عنوان المجموعة الشعرية فهل نسميها نحن ام تقبل فتسهم على الأقل بتسمية وليدتك التى تشاء ان تتبرأ منها ولا برء لك؟.

● فأصغيت مشدوها، وزاحمتنى الذكريات واطلت من نافذتها سحنة «حنين» على مفرقه ثلج كشيبى وعلى سفحه مروج الحب القديم وعند شطه خضم انعكست عليه زرقة السماء يوم كانت بحرا ألفته تجاديفى ويوم كان القمر زورقى والشباب قلع شراعى والشعر مزهر صبابى، ولا نديم الا النجوم».

● وتأطرت لمح من لبنان وأمريكا وأوروبا واليابان حيث ضمخت هناك قيثارتى بعبق بيادر الآهات، ومن كوة النشوة هبت نسمة من روضة التنهات بنجد ذكرتنى بخزامها واقاحيها، وبالابطح وكثبانه.

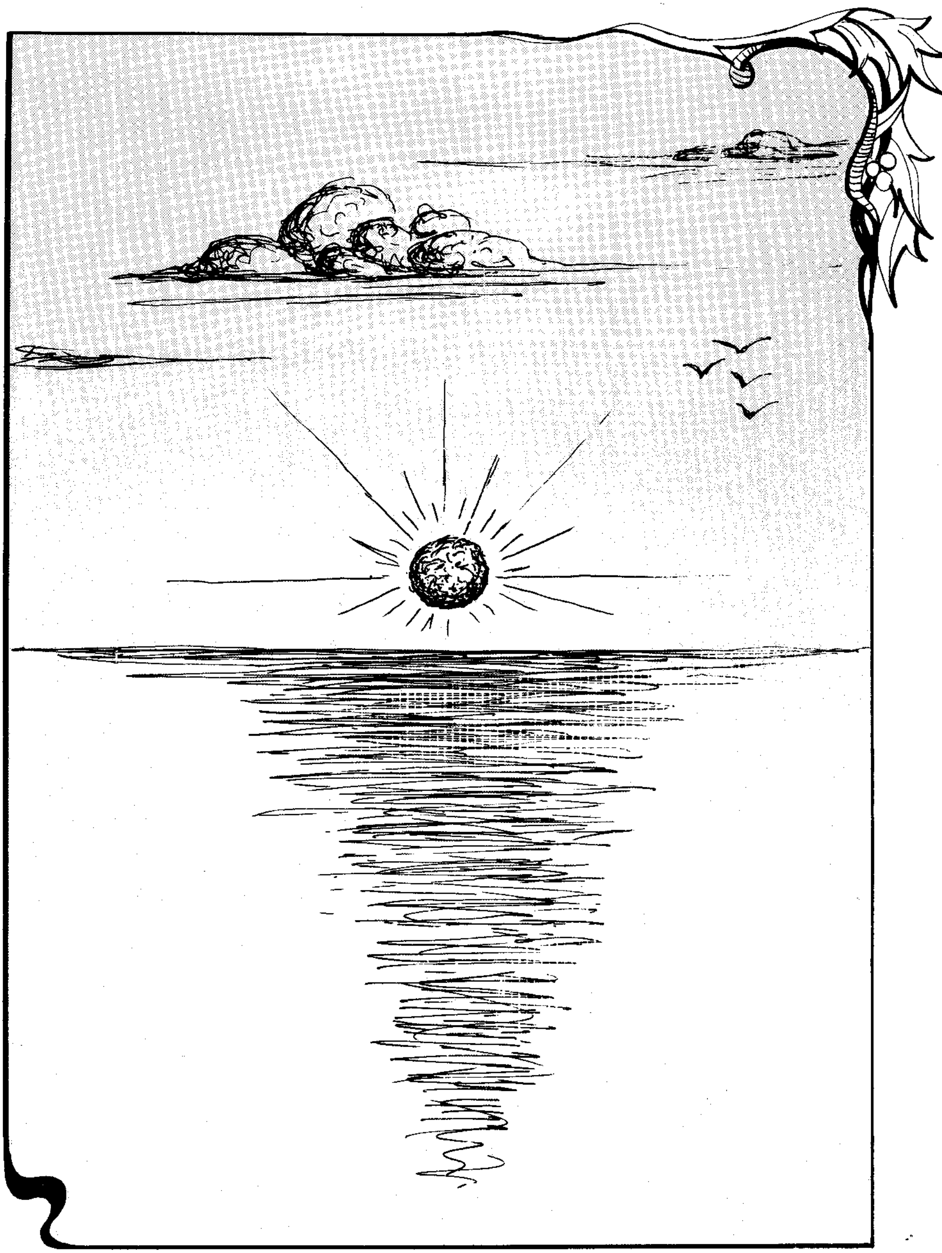
● وأوجست خيفة من نفسى ومن جرس فى اعمق الأعماق تتحفز على رنته الحان الماضي البعيد وبدت واحتى وكأن ازاهيرها قد أينعت من جديد وشذاها قد فاح وباح. . ونظرت الى صاحبى الذى فقدته فى غمرة سنة فوجدته يشدنى الى ضريح امسي حيث طفلة تولول وكأن بين عويلها هتافا مبحوحا يتردد من خلاله «لا تئدنى يا ابتاه» وهويت الى جانب الضريح انكت الأرض بأصابعى لأفتش عن قمقم السعادة المفقود وسمعت صوت صاحبى يجلجل «ماذا تسمى الوليدة؟» فأجبت بحشرجة متهدجة وبتمتمة شرقت بالدموع: سمها يا صاحبى : «من عبير الصحراء».

أحمد عبد الجبار



وحدي

وحـــدى اخـــط الـــدرب وحـــدى
وبســاعـدى اشقه وبصلب زنـــدى
لا ارتجـــى الاك يـــا ربـــــى
فهبنـــى منـــك عزمـا للتحـــدى



غد شاعر

غــدى يا غــد الامــل الاشــقــر
ودنــيــا ربــيــع الــهــوى المســكــر
سأطــوى الــزمــان جنــاحــاً إ ذا
خطــرت مــع الــشــفــق الــمــبــكــر
وألــوى فــؤادى قيــثــارة
تغــنــيــك لــلــكــون والاعــصــر
غــدى يا غــد الــيــمــن يا فرحــة
تطــل عــلى يــومــى الــمــقــفــر
أرى نجــمــك الــحــلــو خفــاقــة
أمــانــى فــى رحــبــه الــنــيــر
أرى عــالــم الامــس منــحــورة
ليــالــيــه فــى عالــم أغــبــر
طــوتــه الــهــمــوم وفــى كــرمــه
بقــايــا مــن الــهــم لــم تعــصــر

غدى يا شروق الغموض
ولحن الغروب على مزهرى
أنا لن أفض جفونى وفى
جفونك دمع وفى المحجر



(*) بيروت عام ١٩٤٣م

أماني العمر

عزت أماني العمر لى مطلبا
فلا أرى صبحًا ولا كوكبا
وإن جعلت الشرق لى وجهة
تحول المشرق لى مغربا
أسير وحولى الدجى مطبق
وحظى من الدهر ما غيبا
كأن الحياة لها لجة ..
يزف القنوط بها مركبا
أحدق فى الافق فى صحوه
فيرخي على سحره غيهبا
وأشكو إلى الورد شوك الاسى
فيرمى بأشواكه مخلبا
أيدمى فؤادى على عوده
وكان فؤادى له موكبا؟

وأنشـد للبـدر ذكـرى الهـوى
وعـهـد شـبـاب نضيـر خبـا
فـيهتـز فـى برجـه ضاحكـا
ويـلتـاذ بالغيـم خـلف الـربـى
وكـم كـان للبـدر مـن مهـجـتى
ملاعـب انـس له فى الـصبـا
إ خـال الـورود جفـت عهـدهـا
واخـشـى الـبـدور خلت ملعـبـا
فـلا الـطـيـر تذكـر قيثـارتى
ولا الشعـر يذكر لـى منصبـا
اجـدف فـى الـوهـم لى زورقـاً
وشـط الامـانـى بدا خلبـا
أنـا والزمـان علـى موعـد
وعـهـدى بـه لـم يـزل قلبـا

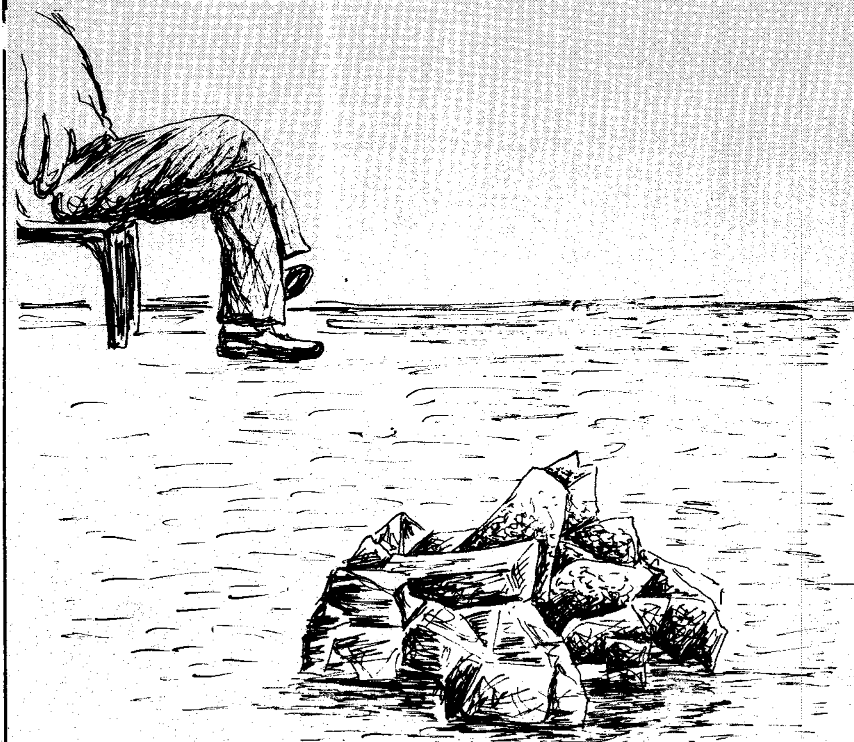
(*) واشنطن عام ١٩٤٧م

زفرات

مـــاذا تخـــبــىء يا قـــــدر؟
أتـــــرى الـــسرور أم الـــكــــدر؟
أنـــا مـــن عرفت علـى الاســــــى
وإذا صبــرت فمــن صـــــبــر
كـــأس الـحيــــــاة شربتـــهـــا
حمــمـــا وحــطمـــت الـوتـــــر
ونــسـجـــــت لليـــل الـحــزيـن
بأدمـــعـــى ثوب الـــســمــــــر
كن غاضـــبـــــا أو مــــدلـــهـمـــا
إن أردت ومــكــــفــهــــــــــــر
أو فـابـتــســــم لـــــى إنـــنــى
أهـــوى ابـــتــســـامــك يا قـــــدر
شــــــــدوى علـــى نايــى الــشـ
ـجى يشـوقــه سحـــر القمـــــــر

وفـــــؤادى الــثـمـــل الـفـتــ
ـــى تلــذه ذكـرى الـــصـغــر
اه لامــــــال الـــحـيـــــاة
ومـا طـــوت بيــن الـــصــور
يـــومــى يمـــــر وأمـسـي الـــ
ـــدامـى علـــى كفـــى احـتــضــر
وغـــــــــــــــدى .. ولا أدرى
أيـــخـــلـد ام يـــروح ويـنـــدثـــر؟
يبـــــدو الـــزمــان لنـــاظـــر
ي بقـبــضـــــة الـمـــوت الاشـــر
ومـــــن الـفـنـــــاء أرى الـحيـــا
ة كـــبـــرعـــم غـــــض بــــــدر
تزهـــــو بأوقـــــات الـــربــيــ
ـع وتستـفـيـق وتـــزدهــــــــــر
وإ ذا الـخـــريـف أتــــى وأذبلــــ
ــهــا تداعـــت كالـــزهـــر
لهـــفـــى .. تمــــر بهـا الـنـســ
ـــائــم والـــزعــازع والـــعـصـــر
وغـــــــدا يكـفـنـهـــا القـــــ
ـــضــاء فـــلا شـبــاب ولا كـبــر

إن الخـلود من الاما
نى تستجـد وتستقـر
لهـب النفـوس ضـرا
مهـا وضـرام امـالـى شرر



(*) القاهرة عام ١٩٤٥م



ياليل

يا ليل طالت همومي
وعز منك الدواء
وشاع فيك وجومي
وغام وجه الضياء
بكيت ترثى لحالي
يا ليت يجدى البكاء
عمرى رهين الليالي
أخنى عليه القضاء
أنا احتضار الاماني
عاشت بها الانواء
سئمت دنيا زماني
فهمت نحو السماء
أبغى خلودا لنفسي
أبغى لقلبى ارتواء

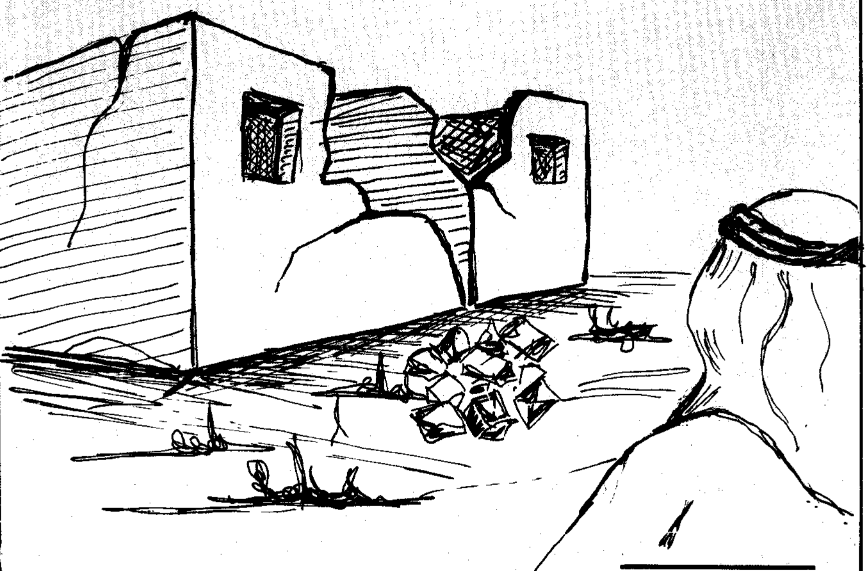
فحطم اليأس كأسي
ولم يعد لى رجاء
يا ليل أنت رفيقي
عرفت فيك الوفاء
تمشي معى فى طريقي
تقودك الاهواء
أضلك الوهم مثلي
وخانك الرفقاء
وسرك اليوم جلى
أسرار هذا الفضاء
فكنهه من ظلام
خطته أيدى الشقاء
وأهله من رغام
مصيرهم للفناء
يا ليل نجمك يغرى
قلبى رضيع الحياء
يا ليل إنك فجرى
أنا رضيت الفداء

(*) بيروت عام ١٩٤٠م

مناهة

أبــراج شهــب فى الـــفـضـــاء تـــدور
بالـــضـوء تومـض تـارة وتـــغـــور
وأرى الـــسـمـــاء على بســاط أزرق
يطـوى الــنــسيم بعـــطـره فيمـــور
ويجيش فى نفسـي الحنيــن لغيبهـا
والـغيب فــى سـفـــر طوتـــه صـدور
عجبـــاً من الـدنيـا ينـوح جنينهـا
ويـــنـــوء من فــرط الانــيـن كبـيـــر
والارض ما دارت لتـــفـــقـد ظلهـا
بــل خالق الكـــون العـــظيـم يديـــر
والشمُس ما فنيت بوقـــد لهيبهـــا
فالـــنـــور ســر حيـــاتهــا، الاكسـيـــر
إ ن الـــكـــواكـــب فـــى مـدار مطافهـا
غـرر غـرار الـــوهـج وهــى تســيـــر

علقت بها نفسي، وكنت خدينها
طفلا، ومازال الغرام يثير
عمرى نثرت عقوده فى لجة
مخرت به الاوهام وهو قرير
واليوم تهصرنى الهموم ولا سنا
يبدو ولا طيف الحبيب يزور
سر يا شراعى فى خضم متاهة
غامت على الشط البعيد بدور



(*) روما عام ١٩٧٠م

لأين

لايــن .. لايــن نســــير
وكيـــــف ومـاذا المصيــر؟
ضريــر يقــــود بصــــير
وكــل عليـنـا خفــير
يلـــف الـغــــنى الحـريـر
ويـطـوى الفقـير الحصــير
نباهـــى بماض نضـــــير
ونبكــى لحـال كســــــير
أســـير يشــــــد أســـير
وقيــــد يميت الضمـــير
ونجـــأر مــا مـــن مجــير
فدرب الـنضـــال عســـــير



حنين إلى الوطن

صبــوة المــاضي وأنغــام صبــايا
لم تزل منهــا بقــايــا فى الحنــايــا
كلمــا هب من الــشــرق شذا
خفـق الـقـلب وسـحـت مقـلتـايــا
والــمــدى الـغــامض رحــب ساحــه
يتــهــادى فيــه حلمــى ومــنــايــا
كأسي الــذكــرى وخمــرى طيبهــا
وخــيــال كان أحــلام صبــايــا
يســتــبــيــنــى رجــع أنغــام لهــا
ويــواتــيــنــي قديــم من هوايــا
ينــفــث الــشــوق على مجــمــره
حمــم الــبــيــن وغــصــات شقــايــا
أرقــب الــفــجــر فكــم من نوره
غزلــت للحــب تيــجــانــاً يدايــا

علة يحمل أنباء الحمى

أو يوافيني بلمح من رؤايا

وأناجي الليل أرعى نجمه

واللظى ينهب لبي وحشايا

لا الدجى يصغي ولا الفجر يعي

- يا بلادي - لعذابي أو أسايا

ضل بي في عالم الوهم السري

والنوى حاد بدربي وخطايا

وهواك البكر حي ماثل

يلهب الحس ويغلي في دمايا

كم أمني النفس باللقيا ترى

هل لآمالي من عمري بقايا؟

(*) واشنطن عام ١٩٤٦م

من وحي العودة

عدت والــذكــرى وشــوقي وولــوعي
يا بلادى والــهــوى ملء ضلوعــي
عدت للصــحــراء استــاف الـشــذا
وإلى الــرمضـــاء أهـــديها شمـوعي
عدت فى يمــنـــاى كأس للمــنـــى
أرتـــوى منـــه وأرويـــه دمـــوعـــي
فهــنـــا قومـــي سادات الـــورى
وبـــواد غيـــر ذى زرع جذوعـــي[1]
كم طويـــت الـبـيـــد جذلان فتـى
وتـــدلى النجم يحبـــو فى ربـــوعي
كم لهـيـب الـشـمس أدمـى جبهتى
وارتـــمـى ينهـــل من وقـــد نجيعي
كم بنـــجـــد لى كثـــيـب ضاحـك
وبـــروض كنـــت أرعـى وقـــطـيـعـي

وطـيـور الـقـفـر كم كان لهـا
مزهـر أوتـاره نسـج ربـيـعـي
يا بلادى أيـن سمـار الـصـبـا
وصبـايـا الحي فى الخـدر المنيـع؟
أيـن مزمـار أهـازيـج لـنـا
ردد الشـرق صداهـا فى خشـوع؟
ظمئـت روحـي لامس غابـر
لفـه حقـب بديـجـور مريـع
وجـفـا الـبـيـدر مزن للطلى
والـطلى وهـم وأطـيـاف هجـوع
عدت لكـن لم يعـد امـسـي معـي
فالـنـوى حظي ودربـي وشـفـيعي

---

(١) بوادٍ غير ذي زرع (أي مكة)

(*) جدة عام ١٩٦٥م

عاذر التنهات (1)

يا عاذر الروض لو تدرى صبابتنا
فى من نحب ولو تدرى ببلوانا
عذرتنا وعذرت الدمع منهمرا
يروى، وكم روت الايام شكوانا
بكى (الاقاح) وان (الشيح) وانتفضت
زنابق البر إشفاقا وتحنانا
وأنت (يا عاذر التنهات) معتكف
بين (العرار) وبين الرمل أحيانا
تضفى على الروضة العذراء من ارج
غدوت من طيبه الخمرى سكرانا
وهزنى النغم المحموم وانبعثت
ذكرى صباى على كفي الحانا
ابثك الوجد والكثبان صاغية
وأنت تنفحنى بالطيب ألوانا

فاســدل الــليــل ستــرا من غلائـله
وغــام فى الافق بدر كان يرعــانــا



(١) «عاذر» من زهور الصحراء

(*) روضة التنهات (السعودية) عام ١٩٤٤م

توديع لبنان

بسم الصباح وغصت الاتراح
فعلا رباك من الخلود وشاح
والطيب رقرقه الغمام وسحه
خصلا عليك ففاضت الاقداح
لبنان يا نغمي اهز به الورى
يا جنتي طابت بها الافراح
يا عالمي المجهول هدهده الضحى
فى مقلتي فراق لي الافصاح
أنا فى هواك كما عهدت على المدى
قلب يمور وخافق ملتاح
لى ذكريات فى هضابك غضة
دوما إذا رددتها أرتاح
كم فى الظلام شدوت باسم حبيبها
وشدا معي صنين والادواح

كم مرة فى الليـــل يغمــرنى الاسى
وتــحــز فى قلبــى الـعـليـــل جراح

وأتيـه فى الـظلمـاء وحــدى والكرى
إن رق جنـحــا هاض منـــه جنـــاح

والــنـجـم فى أفـق السمـــاء كأنـــه
قلق لحـــالــي مجـتـــو لمـــاح

والبـــدر يخفي بالضبـــاب دمــوعـه
كي لا أراهـــا حرقـــة تجـتـــاح

لى ذكـــريـــات لو أبـــوح بســرهـا
يجـف الـــزمـــان وتـــزهق الاصبـــاح

لبـــنـــان يا احـلى غنـــاء فى فمـــي
واعـــز سلوى للحـــيـــاة تتـــاح

لبنـــان يا ذكـراى صغت لهـا الـرؤى
ارجــوحـــة يســرى بهـــا الـــمـــلاح

غدا الــرحيـــل فليت يصـرعنى غد
وتــلـفــنـــى قبـــل الـنـــوى اشبـــاح

قلبـــي هنـــا كفـنت حلم شبـــابـــه
وبـــكـــتـــه فى ملكـــوتـهـــا الارواح

لمـــلم معـــي لبنـــان زهـــر صبـــابتى
ذبـــل البـنفســج وانـــطفـا المصبـــاح

(*) بيروت عام ١٩٤٣م

ذكرى لبنان

لبنان يا بلد الحبيب
يا جنة الامل الخصيب
ذكرتك للقلب الكئيب
دنيا يضج بها نحيبى
فذكرت ايامى واحلا
مى وأوتار نسيبى
وذكرت (ساريتى) تشـ
ـق الغيم فى زهو عجيب
يرنو لها البدر المليـ
ـح وخافق النجم الطروب
والموج رقاص يصفـ
ـفق للمحب .. وللحبيب
سكرا من الحب الملـ
ـح ومن أناشيد وطيب

وتشـاكيا الـوجـد الـطهـو
ر عـلى تـواقـيـع الـوجـيـب
ذهـلا عـن الـقـدر الـلعـو
ب وعـن تـبـاريـح الخـطـوب
وتـنـاسـيا الغيـب المـطـل
وبـارق الـبـيـن الـرهـيـب
لبـنـان يا ذكـرى الصـبـا
ومـراتـع الانـس الـقـشيـب
لبـنـان يا وطـن الهـوى
يا نـغـمـة الحـادى الغـريـب
غنيـت صحـراء الجـزيـ
ـرة باسـمـك الحـلو الـرطيـب
فتـنـصـتت سـكـرى وقـا
م الـتـل يـروى للـكـثـيـب
وتـزاحـمـت حـولـى طيـو
ر الـقـفـر والـوادى الـرحـيـب
أذكـى مسـامعهـا حـد
يث الارز والـجـبـل الـمـهـيـب

وتــأوهـــت نفــسـي علــى
المــاضــى وحــاضـــرهــا الكئيب
ويـــحـــي مــــن الايام يا لبـــنــا
ن أغـــدرهـــا نصـــيـــبـــى



(*) روضة التنهات (السعودية) عام ١٩٤٤م



وداع

روما وداعـــا ما أردت وداعـــا
قدر يشـــاء ولــــست أطـــول باعـــا
طاب الــمـقـام لخــافق ألف الهـــوى
وحنـــا عليــه العـطر منـك وضـاعـا(١)
كم فى ريـــاضـــك للغـريب صبـابـة
تسـقـيـــه من دن الجمــــال متـــاعـــا
أنـــى تلفـت تلتـقـيــه من الالـــى
نصـب رفـعـن على الـتـــلال تلاعـــا
من كل ازمـــيـــل يشـــاهـــد صورة
تروى من المـــاضى الحـديث تبـاعـا
من كل لحـن يسـتعيـــد مع الصبـــا
للمجـــد ذكـــرى .. للفنـون شعـاعـا

---

(١) ضاع : يضوع : انتشر

يا درة الرومان فى تاج العلا
نسج السنا للخلد منك شراعا
سأسير فى دربى وأزرعه منى
لك، للانام لكى تكون مشاعا
لم يجرح البين المطل صبابتى
فإلى لقاء لن أقول وداعا



(*) روما عام ١٩٧٧م

أنا

أنا ما زلت أنا
لم تغيرني الدنى

كأس أحلامي وأوهامي غني
وسميري في الليالي كوكب زاهي السنا
أنا مازلت أنا



إلى عبد الله الفيصل

قصيدة خطاب

صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله الفيصل   حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إننى أرجو الله أن تكونوا سموكم بأتم الصحة والعافية ولقد استلمت بيد الشكر هديتكم الثمينة وهى نسخة من ديوانكم «حديث قلب» ولا شك أنكم تضيفون إلى المكتبة العربية سفراً يشمل بين طياته الحنين والأنين والذكرى والفخر وكل ذلك يمثل وجيب فؤادٍ لُوِّعَ والْتَاعَ وسُحِرَ وسَحَر ، وليس أبلغ من وجيب قلب شاعر ضمخ بعبيق الأقاح والشيح والقيصوم والعرار والعاذر(*) وارتوى من رمضاء الصحراء واكتوى من لهيب الشمس، وطوى الرمال، واجتاز الكثبان، ولف قوس قزح على ذراعه يهدهد ألوانه ويداعبه ببنانه، ولقد كنت فى ذلك الفردوس، وحرمتنى الغربة أهازيج السمار وعشت بمفازة نفسي بعيداً عن النغم والشعر، وأصبحت قيثارتى بخور الذكريات، ولكن مع بقايا من أنين يهزه الحنين، أوحى لى «حديث قلبك» الأبيات التالية:

حديث قلبك وافانا فأشجانا
وسحر شعرك أبكانا وواسانا

يا طيب الذكر كم كانت أجنتنا
ملهى الغرام وكم كانت حنايانا

وكم أرقنا على الصحراء من أرج
طوى الفيافى أناشيدا وألحانا

ماضٍ مضى مازال يرقصنا
صداه إ ن رنّ فى البيداء تحنانا

حدث حديثك فالافاق صاغية
ودع فؤادك يهدى الحب تيجانا

ما ضر لو عرف التاريخ محتده
جزيرة العرب أظعانا وإ نسانا

مع فائق التقدير ووافر المحبة، ،



(*) اسماء زهور فى البادية العربية

إلى الملاح التائه

(مهداه الى الاستاذ على محمود طه)

أيها التائه فى بحر الحياة
تضرب المجداف يمنى ويسار
خذ بأيدينا إلى شط النجاة
واشدنا لحن كنار وهزار

* * *

أترك القارب بين اللج يطفو
وأدر حيزومه نحو النجوم
عله يترك هذا البحر يغفو
ويغذ السير فى بحر الغيوم

* * *

طف بنا فوق البرارى نتملى
حسن هذا الكون من برج السماء
واشدد الاوتار كيما نتولى
ساحة الاحلام فى صحن الفضاء

* * *

خل لى التجـديف واشـرع بالغنـاء
واسـكـب الالـحـان فى صدر الـنسم
علهـا تحـمـل عنـا ذا الـعـنـاء
وتـذيـب الـعـطر فى ثغـر النغم

***

أيـهـا الـمـلاح ما هذى الـدنـا
حل فى أرجـائهـا سـم الـظـلام؟
ململت فيـهـا تراتـيـل الـسـنـا
وطـغـت فيـهـا أحـابيـل الحـرام

***

دع شراع الـفـلك يحـمينـا الخنـا
واتـرك الـمـزهـر فى أيـدى القصيد
فجـمـيـل الـشـعـر دارات الـهنـا
ينعش السكـرى ويحيى من جديـد

***

سر بنـا يا فلك نحـو الـمستحيـل
وامش يا قارب صوب الـلانـهـايـة
فسـكـون الـلـيـل براق جمـيـل
وعـيـون الـلـه تومـى بالـهـدايـة

***

يا لطيــر الليــل ما هذا الهــزيـــج؟
يا لقـــلب الـــنجـم ما هذا الـقـلق؟
كل ما فى الكـون يسرى فى ضجيج
وضـجـيــج الــروح أحــلـى وأرق

***

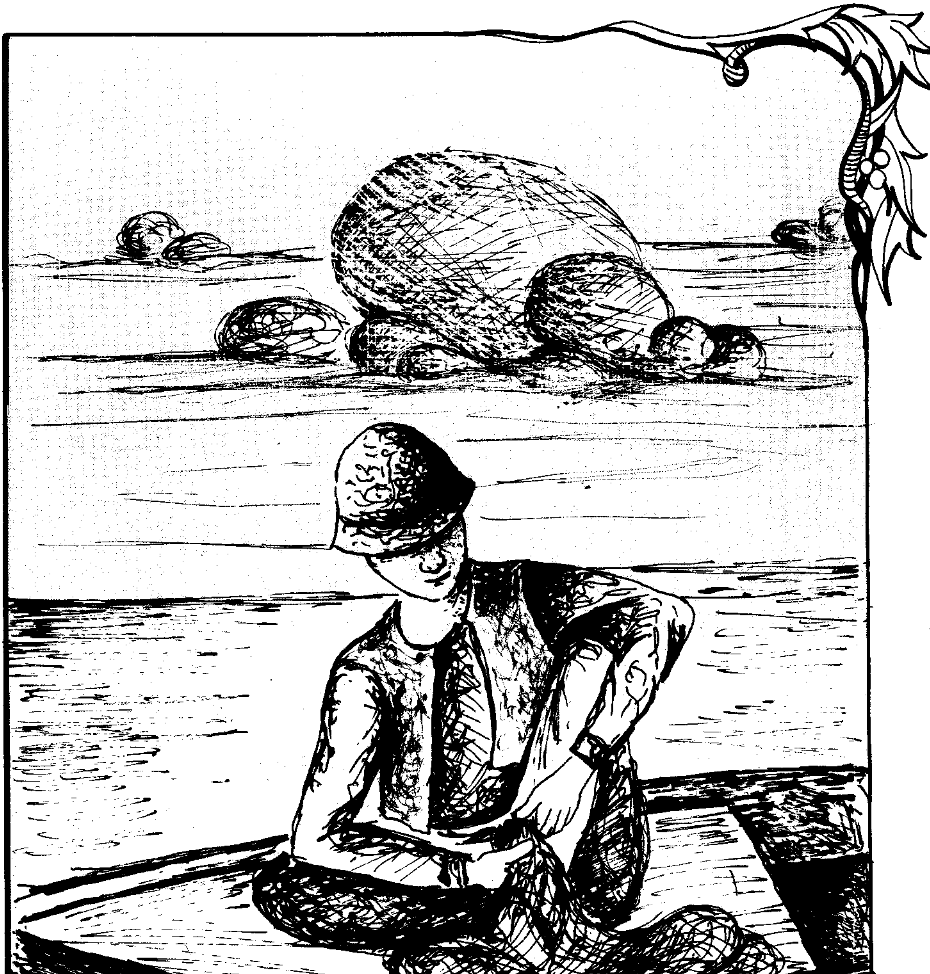
اهــة الاقـــدار فى كأس هوانـــا
ونـعـيـم الـخلد فى بحـــر الغيـــوم
غنـــــا يا خل واطـــرب من غنـــانـــا
وانـــثـــر الـــورد على رقص النجـــوم

***

ها هنـــا جنـــتـــنــا فارخ الـشـــراع
واطـــو هذا الـقـلـع فوق الســاريـــة
ودع الـــبـــحـــر فقـــد آن الـــوداع
وابـــق يا ملاح رب الـــقـــافـــيـــة

***

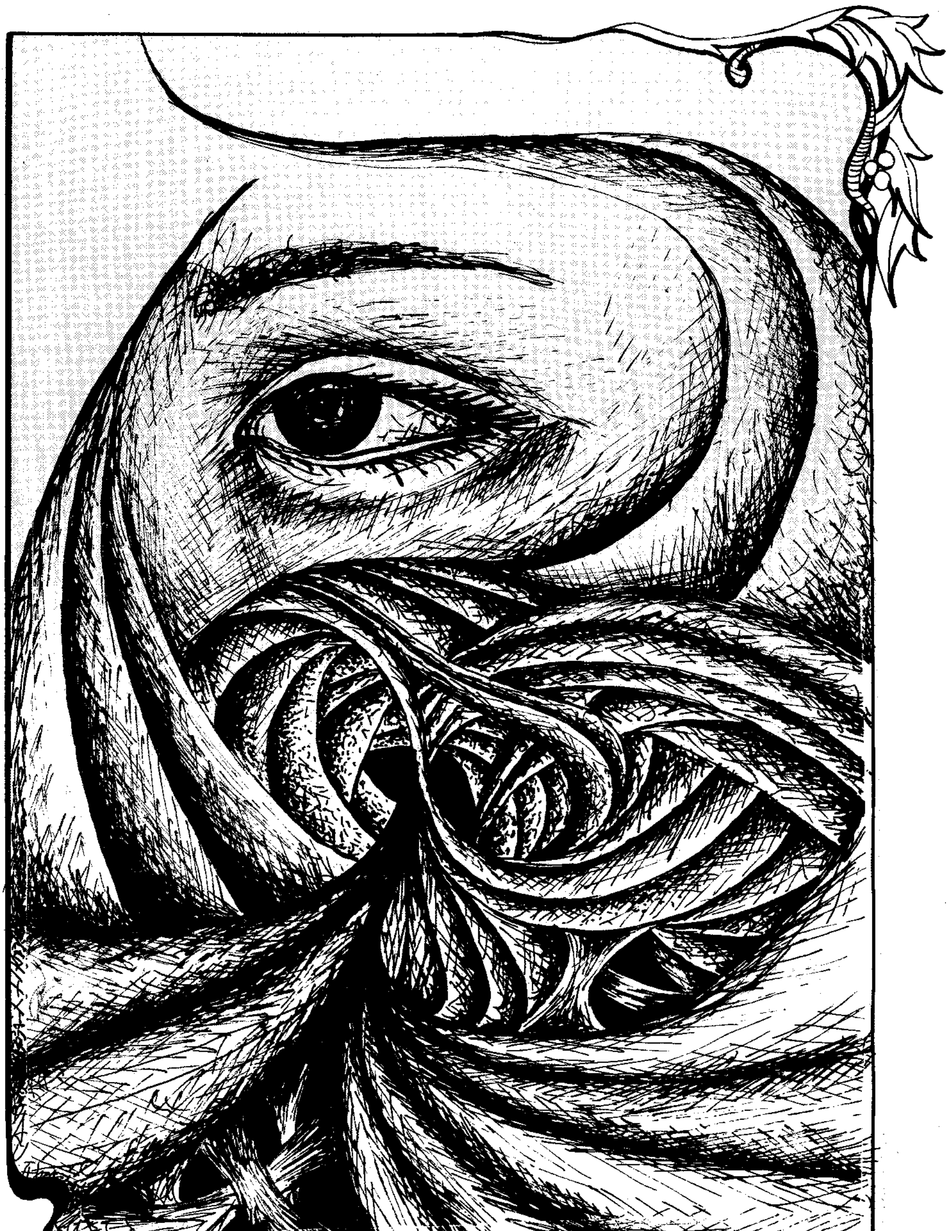
بيروت عام ١٩٤٠م



لا نار

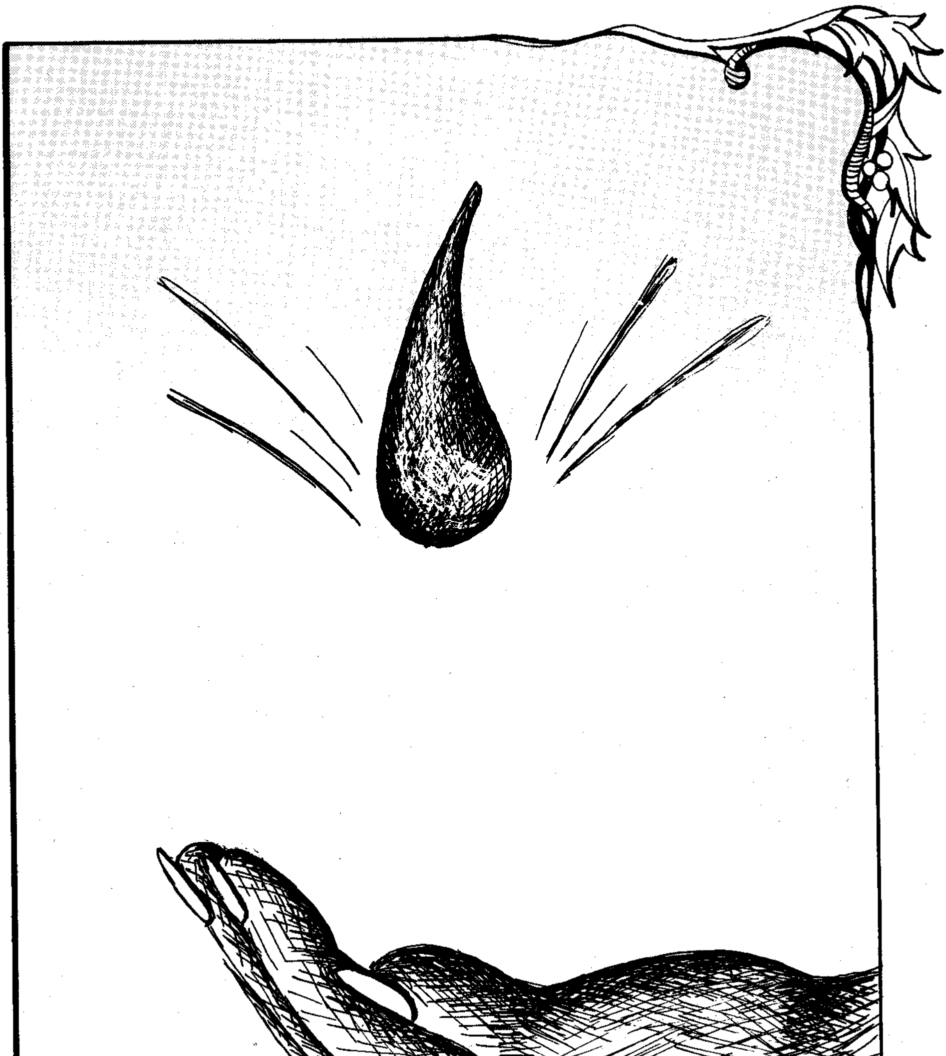
ما فى الحشا نار ولا موقد
وإنما السمار قد أبعدوا
وساحة العشاق ما أقفرت
ما دام فى رحب السما فرقد
فدع خليلى الهم لا حسرة
تعيد ما فات ولا تنجد
لا يركن القلب هوى عابر
والامس ذكراه بنا تخلد
وإن نأى النائى فما عذره
إلاّ غد يزجى به موعد

(*) جدة فى ٢١/ ٣/ ١٣٨٦هـ



حيرة

حرت فى أمـــرى يا ربى فمـا لى
أنـــهـــل الاثم ويـــروينى ضلالى
وعـــيـــون الـحـب حولـى ملئت
من عصـــارات دمـــوعى وخيـالى



رسالة

هذى دموعي
قد بعثت بها إليك
وأمرتها أن
ترتمى فى راحتيك
فإذا أتتك
فبالذى عندى لديك
لا تمزجيها
من لالىء مقلتيك
فلها ضمير الـ
يأس أخشاه عليك

* * *

هذى دموعي
قربيها من خيالك
فيها حنين
من دمي لسنا جمالك

وبهـــا جنـــــــــون
مـــن هــــواك ومن نبالـــــك
لا تحرميهـــــــــــــــــــا
إ ن أتـــتـــك هنـــا وصـــالـك
هـــي مـــــــن غرامـــــــك
صغـتهــــا وهـــوى خصـالـك

***

هـــذى دموعــــــــــــي
آمـــنـــت قبلـــى بحـبـــك
أرسلتـهـــــا كـــــــي
تستشـــف نســيم بـــردك
هـــى منـــك فـــتّي
بعثتهـــا تحـــظـى بقـربـك
فتـــرفـقـــى بأنـيـنهـــــا
وجـحــــــود قلبـــــك
ردى علــــــــــــي
تحـيتـى قســمـــًا بربـــك

(*) برمانا عام ١٩٣٩م

وكان (*)

اتــــذكـــر يا قلـــب هـــذا الـــمـــكان
وحـــبـــك فيـــه قبـيـــــل الاوان
أتـــذكر تلـك الـــتـــى خلتهـــــا
مليـــكـــة حسـن الـــورى والـــزمـان
تراءت لعـــينــك كــــل المـــــنـى
وكـــانـــت لروعـــك نـــور الامـــــان
أتـــذكـــر كيــــف افترشنـــــا الهـــوى
ولـــفـــت عليـــنـــا غصون الـــحـــنـــان
سكـــبـــت السعـــادة فـى ثغــرهـــــا
وأسقتـــك كـأس الشقـــا والهــــوان
وداعـــــا وداعــــا أيا حبـــهـــا
وبئـــس الـــذى كـــان منهـــا وكـــان

(*) برمانا عام ١٩٣٩م



متكتم

صفــق الحـــب وبـــاح النــظـر
لم لا نشـدوا؟ ولـم لا نـســمــر
لم تخـفـى الــوجــد عنى وأنـا
بهـواك الـحـلـو دومـــًا أجـهـر
تعــب الـــديجـــور إ صغـاء إ لى
شكــوتــى الحـرى ونـــاء القمــر
يا هواى الــبـكـــر يا كـل المنى
أنـــت فى جفـنـى دنيـــا تخـــطر
كلمـــا لاحـت لعـيـنــى لفـتـــة
لاح منـــك الامـل الـمستبشـــر
تخـنـق النـــظـــرة حـتى لا أرى
فيـك معـنـى للهـــوى يستتــر
وإ ذا الـــدمـــع رثـــى لى وهمى
هـزك الـكـبـــر واخـفـى الخفـر

تكـــتــم الالام عنـــى ولـــدى
قلـبي الغـض الجـوى يستعـــر
يا أرق النـــاس يا أحـــلى الـــورى
ذنـــبـى الــحــب فلم لا تغفـــر؟



(*) برمانا عام ١٩٤٠م

أتحبني ؟

سألت سـؤال تدلـــل: (أتحبني؟)
فأجـبـتـهـا: (الـله أعلم لا سـواه)
وهمســـت فـــى غيبوبتـــى
لحـنـًا تمـلـمل فى الـشفــاه:
أنــا قد عشـقتـك إذ تفتـــــ
ـــح فيك برعـــوم الـحيـــاه
ورميـــت قلـــبي فى خضـــم
لـــست أدرى منتهـــــاه

* * *

أنـــا لســت أعـــلم ما أقـــول
ولـســـت أدرى ما اغـــنى
أنـــا فى هـــواك نسيـت أحـــ
ـــلامـى وأوتـــارى وفـــنـي
أنا قد سئمت بكـــل شـــىء
غيـــر حبـــك لـــى ودنـــي

أنــا قد عشقتــك بسمــة
فى خاطــرى وسكـون ظنــى

* * *

إن كنـت سائلتــى هــواى
فهــاك مـن شعـرى دلـيـل
هو نفـحـة الالام مــن
روحـى ومــن قلـبى العليـل
فترفقــى بشــوارد
هـى كـل مـا عنـدى خليـل
وإذا أتتــك فباركـى
منهـا دموعــا قــد تسيل

(*) بيروت عام ١٩٤٠م

شقراء

شقـــراء يا حلمـــا علي ارجـوحـه
من عالـم الاقـــدار صغــت دثـاره
رقصت لك الــدنيــا وهلـل سحـرهـا
وسجــا يداعـب للســنـا أوتـــاره
عشقتك أنفاســـــى فحـرق كبــدهـا
وسـبـيت مـن روض النـهى أطيـــاره

* * *

شقــــــراء يا ذات الـعيــــــــو
ن الـــزرق يـــا أمـــل الـــخيـــال
سـبحت باسمـــــك فـــى الهــوى
وعشقـــــت وجهـــك فى الجمـــال
وسمعت صوتـــك فـــى الدجـــــى
أبـــدا يضـــلل فى الـــرجـــال
أهـــواك فى مقـــل الصبـــــا
طيـبـــــا ترنــح فى الـكمـــال

وأحــــب طيـفــك فــى الـسمــــا
نــــورا تمــثــل فى الـهــــلال

* * *

وأذوب فيــــــك صبـابـــــة
عنــد الترفــق فــــى وصــــالي

شقــــراء يا نغــم الـصبـــاح ونــوره
وربيـبــة الـحـلم الـزهــى ومنـاره

رنــحــت أفـكـارى عليـك وطـيبهـا
ونــشــرت فى أفـق الهـوى أشعـاره

كونــى علـي غمــامــة رفـافــة
لارى الـــحـنـــان وأحـتــسى أقـداره

* * *

شـــقــــراء يا بنــت الـخيـال الـــ
ـــبكـــر فـــــى وتـــرى الحنـــون

وقــعــت حبــك فى الـصبـــا
لحـن الـفُـتـــوّة والـــفـتـــون

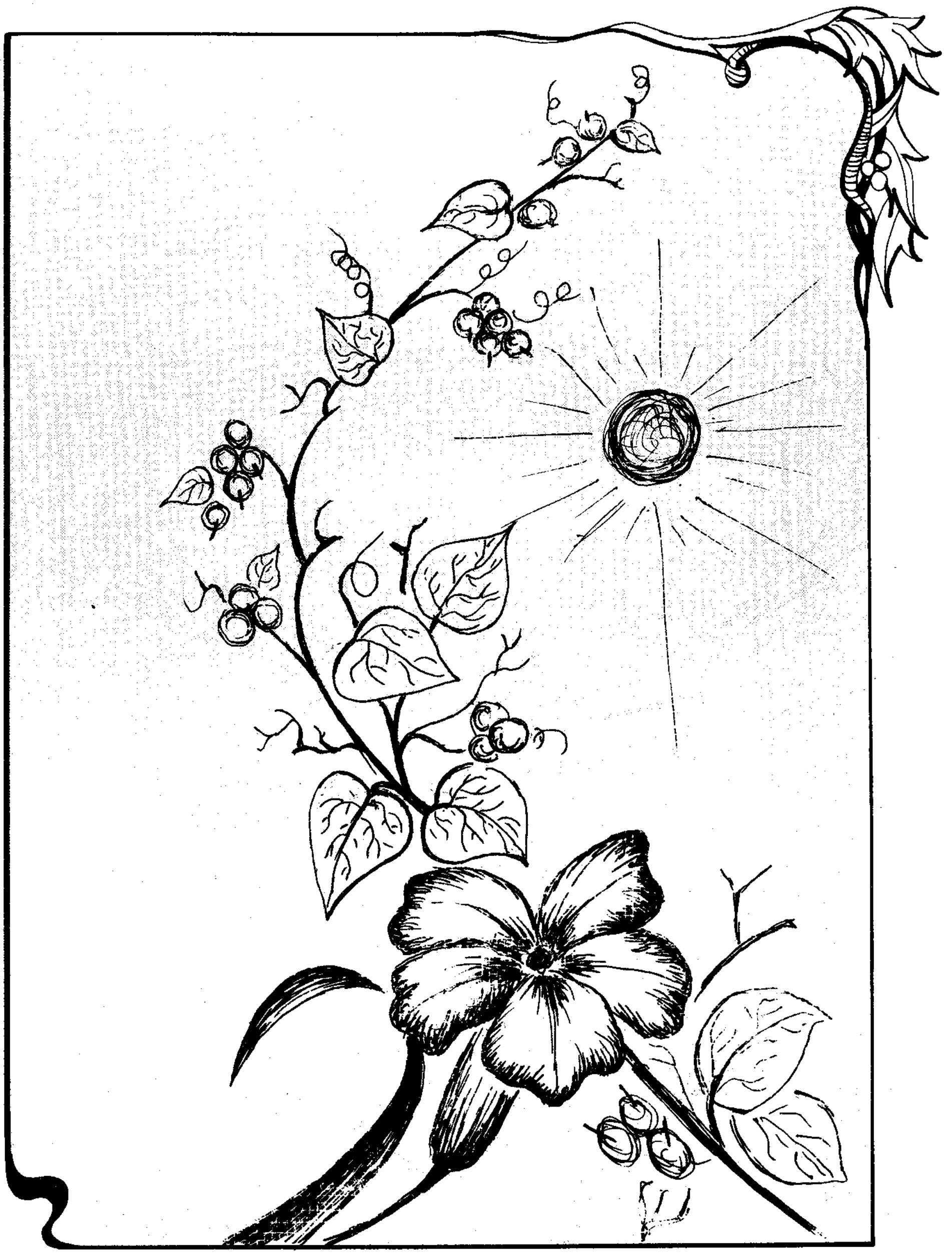
وعــشــقـــت ذكــرك آهـــة
أشدو بهـــا شـــدو الـــجـنـــون

ونـظمـــت منـــك قصيـــــدة
تتـلـى علـى فنـــن الـغصـــون

شقراء فـــن في سمـا الـــد
نيـا يتـيـه علــى الــفــنــون
شقـــــراء سحـر هاجـــــع
فـــوق النجـــوم وفـى عيـــونـــي



(*) بيروت عام ١٩٤٠م



أسطورة

رفـى على الشمس زهـو المنى
يا جنـة الـحسن ودنيـا الهنـا

غـص الاسى المجـروح من همـه
وكـفـن الـيـأس بريـق الـسـنـا

هيـا على الـغـيـم نوافـى غدا
فيـه الامـانـى حلـوة المجتنى

نريـق راح الـوهم من كأسـنـا
وننهـل النـور ونسقى الـدنى

لا ترهـبى عتمـة ليـل الـورى
وغـيـهـب الاقـدار فى دربنـا

خلقـت للحـب فـلا ترهـبـى
ما دام هـذا الحـب يحـدو بنـا

سنحمــــل العــالم فى كفنـــــا
وننشـد الــدنيـا صـدى حبنـا
وهـــذه الايــام أســـطـــــورة..
نخـــطهـا للجيـــل من بعـدنـا



(*) بيروت عام ١٩٤١م

سارية الأحلام

على الشط سنا يبدو
من الآمال يغرينا
وفي البحر رؤى ترنو
عليها السحر يسبينا
تعالي نُسكر الليل
على لحن أغانينا
ونطفي حرقة القلب
بدمع من مآقينا
وناي الحب في رفق
تناغيه لياذينا
وننسى العالم الماضي
على رشف أمانينا
تعالي فالهوى بكر
تهادى في مغانينا

يذيـــب العطـــــــر فـى كـــأس
مـــن الشوق .. ويسقينـــــا
وإن بـــاح الـــــدجى ســـرا
ففـــى الـفجـر ... تلاقـيـنــا
لنــا الاحـــــــلام ساريـــة
ونـار الـوجـد تهـدينـــا
وقـــوس الـغيـــم لمـاح
بوجـه الافــق يشجـينـــا
ولـلمجهـــول مســــرانـــا
ووادى الـغيـب واديـنــا
سنـفـــنـى العمـــر فـى دهـر
مـــن الامـواج تطويـنــا
وإن دارت بنـــا الـدنـيــا
ففـى الـذكـرى تعـازيـنــا

(*) بيروت عام ١٩٤١م

ليلة العمر

هتف الكـون وغنى بالنشيـد العلوى
وانتشت دنيا الليالى بالقصيد العبقرى
أنفس تصبو وأرواح على الناى الشجى
هدهـدتها نشوة المهموم فى كأس وضي

* * *

موكب للحـور يمشى فوق هامات الزمان
حولـه الانجم طافت وشعاعات الامانى
وسـرت فى إ ثره رعشــات للاغــانى
ثمــل النـور عليهـا وزهـور الاقحـوان

* * *

موكب من عالم الليـل وأحـلام الصباح
رنحتــه نغمـات الحب فى كف الرياح
فجميــل فى غدو وجميـل فى رواح
قبلة الطهر عليه والهوى فوق الوشاح

* * *

موكب للقلب زفتـه الامـانى النضـرات
الـدنى فيـه سكارى والعذارى مرحات
رقص العمـر به وحـدا فيـه الحـداة
وارتمى اللحن فغنته القوافى الثائرات
* * *
موكب الفـرحـة والسحـر وأعـراس الليالي
همهمت فيـه السـواقي وشـدت فيـه الدوالي
ليليـة لبنـان فيها سامر ضاحى الهلال
والزمان البكر فيه حلم طيف من خيالي
* * *
كلمـا وقعت لحنى ردد المـوج صداه
ورنـــا (صنين) يشكـو للروابى ما عراه
وفـــؤادى يتـــلظى من غرام قد براه
الهوى يا قلب بحر لست تدرى منتهاه
* * *
سامـر الحي دعـانـا والصبايا الخفرات
والهوى العذرى فينا ارقصته النغمات
يا حبيب القلب غن وتغنى يا حيـــاة
مزهر الشعر شجانى وشجتنى الذكريات
* * *

يا حبيبى طاب فى الليل لقانا وهوانا
وتلاقت فى دجاه بخشوع مقلتانا
نظرة تمتمها الوجد فباحت شفتانا
يعلم العشاق ما فيها ويدريها بكانا

* * *

ما لهذا الحب يا قلبى لا تنضب ماؤه؟
خفق المزمار لا يخبو على الذكرى نداؤه
كلما الشوق تهادى هزه فى الشوق داؤه
وله اخمده اليأس واحياه رجاؤه

* * *

كل طيف يتراءى كخيالى فى التمنى
يا حبيبي هذه ليلتنا هيا نغنى
انت فى فكرى احلامى وفى دنياى فنى
يا حبيبى ان حبى زورق يبعد عنى

(*) بيروت عام ١٩٤٢م



يا أشقر

يا حب يا أشقر
يا كل ما اضمر
أنت الدنى زفها
نحوى الشذا المسكر
فيك الرؤى فرحة
ترنو لها الاعصر
والنجم فى فلكه
يهواك والنّير
يا حلو طاب المنى
وطاب لى المزهر
غن معى ساعة
وقم بنا نسمر
الكون فى غفوة
والصبح قد يظهر

(*) بيروت عام ١٩٤١م



أغنية الشاطئ

قومي إلى اليم الضحوك ففيه أحلام الحيارى
يستوعب الدر الثمين ويكتم الوجد المثارا
قومى نجد فى الموج اغنية تغنيها العذارى
فيها الحنين المستكن يجن فى الليل استعارا
سكران من صور الحياة تلذه رؤيا السكارى

***

والموجة العذراء تحملنا إلى الشط الفتى
فنعانق الرمل المثير بخافق النغم الشجى
ونداعب الامل المطل على الغمام السرمدى
دنيا الشباب تضمنا والعمر فى كف رضى
ترنين بالنظرات حائرة من السر الخفى

***

واتمتم الاهات فى رفق وأنت على ذراعي
وتغمغمين من الحديث الذ ما يذكى سماعى

الحب والدنيا، ونحن، وما يطل من الشراع
سكرى من الالحان يسكبها بتحنان يراعى
وبقلبى الخفاق بين يديك فى حال النزاع

***

وتلوح فى الافق البعيد دنى يلوحها الفراق
فيرف جفنانا على وجل ويطوينا العناق
ويمر فى أفكارنا الماضى على فمه احتراق
يوحى لنا الذكرى وللذكرى جموح وانطلاق
نبكى ونضحك للغد المجهول يغرينا اشتياق

***

شبحان نحن وللهوى القلبان أجنحة وظل
لا تجزعى يا منيتى إن الزمان رؤى تضل
نامى على صدرى ففى صدرى الامانى تستظل
أنا شاعر الاسرار انشرها على قبس يطل
هاتى الفم المعسول ينعشنى وهاك فمًا يعل

***

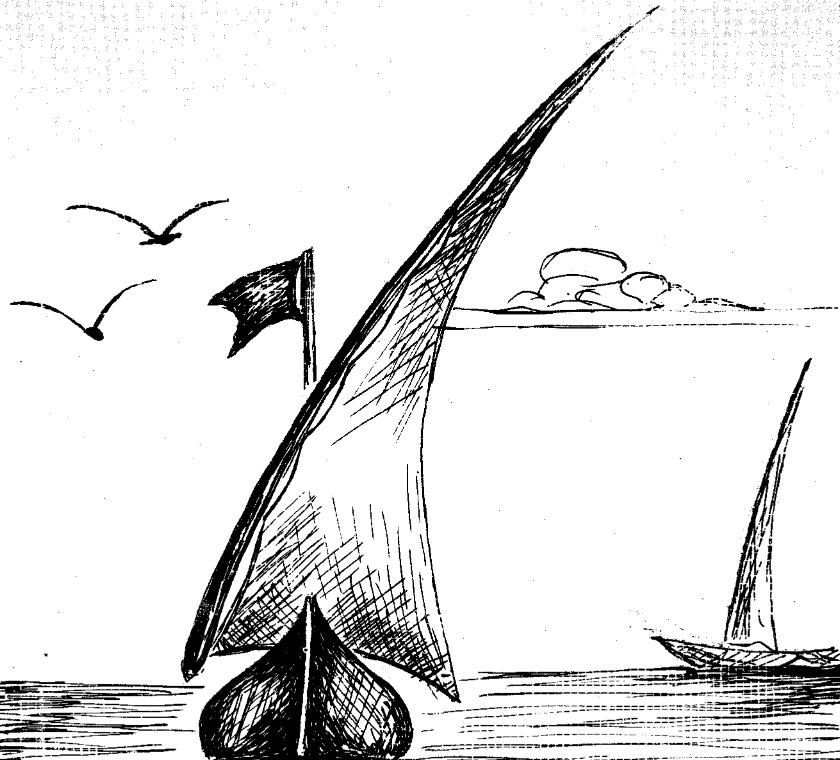
هذا الزمان خطى مقدرة سنخطوها ونفنى
وتخط فوق جبينه أنفاسنا سحرا وفنا
وتردد الاجيال اشعارا لنا لحنًا فلحنا
لا ترهبى القدر اللعوب فإنه غفلان عنا
ما دام فى الحب الاريج فلن ينال الدهر منا

(*) بيروت عام ١٩٤٢م

رحلة

بحرى السمـاء وزورقـي البـدر
سـر يا شراع ومـوجك الـفكـر
وانهض حبيـبى، نـور زورقنا
الـحـب، والايـمـان والـشعـر
الحـب فـى الدنيـا نشيـد اسى
والـحب فـى نايـي لـه عطـر
سـر يا شـراع فكلنـا دنـف
فـى صـدره الانـواء والـجمـر
هـذا الحبيـب تضـم عبقتـه
نفسـي الحنـون وقلـبي البـكـر
يا دهـر ظللنـا بأجـنحـة
واسـدل عليـنا الـليل يا دهـر
يا نجـم سـامـرنا وقـص لنا
ما حـدث الـغادون والـسفـر

يا بحـــر إن تعـصـف بقــاربنـــا
تهـــوِ الـحيــاة ويـنـقـضِ العمـــر
ســــر يا شراع فـإن وجـهـتنـــا
دنـيــا الـمـحـــال وشــطنـا الـقـبـر



(*) بيروت عام ١٩٤٢م

كيف أنسى

علمينـــى كيـــف أنســـى
أعـطـنى فى الهجـر درســـا
كلمـا وقـعـــت لحنـــاً
ذكّـــر الحـاضـــرَ أمســـا
ليـــت لى قلبـا يجـــافـى
ليتـــنى مثـــلك حِسّـــا
ليتـــنى أنســـاك حـــتى
تنجـــلى الذكـــرى وتنســـى
أنا ضيـــعت شبابـــى
وأضـعـت الـعـمـــر يأســـا
كلمـــا أفـرغـــت كأســـا
للاســـى أتـرعـــت كأســـا
خلـــق الهـــم خدينـــى
وبـــدا لـــى الهـــم رمســـا

بئــــس شـــــوق يعتـريــــــنى
يمـلا الارجـــاء بؤســـــــا
* * *
اذكـــــــرى ماضـــــى يومــــا
يا أعــــــز الـنـــاس نفســـــا
وانثــــــرى حبـــــى طيبـــــًا
وانــشــرى ذكــــراى شمــســـا
كــــــم غــزلــت الــنــــور تاجـــًا
لـــك والاحــــــلام عرســــــــا
وفرشــــــــــت الـــــــدرب وردا
ورمــــــال الـبيـــد ورســــــا
أنا يا أُنـــــــس زمـــــــانى
لا أرى بعــــــدك أُنســــــا
ليــــــس لـى نـــاى يغـــنـــى
أو فـــــــــــؤاد .. يتـــأســـــى
وإذا قلـــــت سـأنـســــــــى
صــــاح قلـبـــى كيــف تنـســـى؟

(*) الرياض عام ١٩٤٤م

روابى العبير

هل ترى ضلّ فى الحياة طريقى؟
يا فؤادى يا حيـــرتـــى يا رفيقى
أم ترى الشاطىء البعيد ســـراب
وشـــراعـــي فى بحـــر وهم عميق
بهت الـــومض فى الفضـــاء وغامت
هالـــــة الافق فى زمـــان سحيـــــق
أين درب السمـــاء ؟ أين الثـــريا ؟
غرقت فى تموجـــات الرحيــــــــق
يوم كان الهـــوى نــــدى الاماني
أشقـــر اللون حافـــــلا بالبـــريـــق
نهـــرق الليـــل، والنجـــوم العذارى
ثمـــلات من النشـــيد العريــــــــق
يتضاحكـــن فــــى حيـــاء ودل
وعـــفـــــاف ورقـــــة وخـــفـــوق

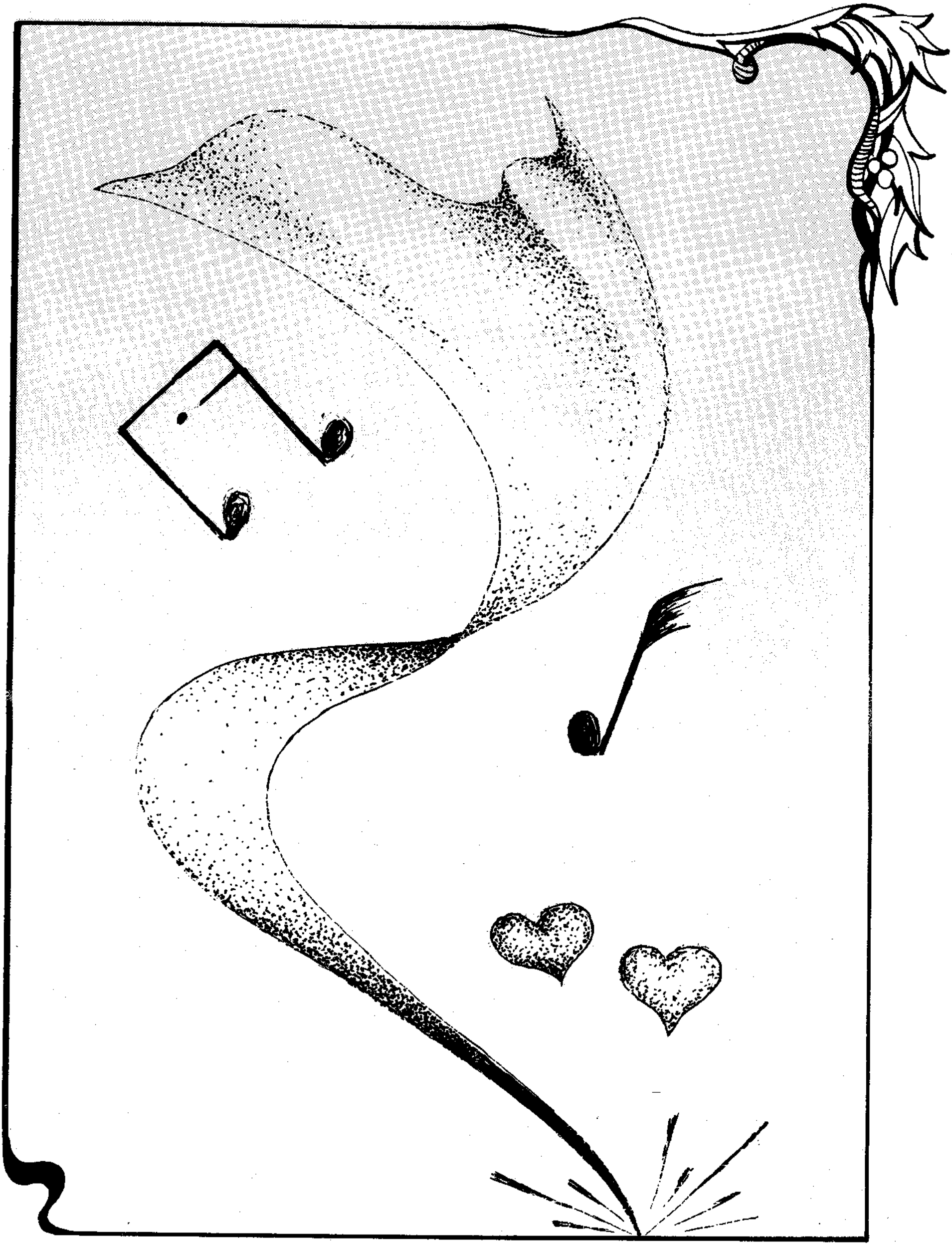
وعـليـنـا من النعيــم ظــلال
حفها الضــوء وابتسام العشيق
كلمــا هزنـا الهيــام انتعشنــا
وارتعشــنا من العـذول الصفيق
نمــلأ الجـو بالهتـاف ونشـــدو
والعيـون .. العيون فى تحديـق
أين تلك الرؤى وتلك الامانـــى
وروابـــى العبـــير، دنيا العبيق؟
أتراها فى غفــوة العمــر كانـــت
أم تراهـا من الخيـال الرقيـــق
أين عهـد الشبـاب للحب بحـر ؟
كلنا بيـن سابـــح وغريـــق

(*) مكة المكرمة عام ١٩٤٤م

يا نجمة الليل

يا نجـمـة الليـل المـطلـة
وسميـرة الصـب المولـه
نشـر الاريـج عليـك بردتـه وأرخى السحر ظله
وكست أمـانينـا السمـاء صفـاعهـا الفتـان حلـه
خفـاقـة حيـرى كقلبى الحـائـر البـاكى المـدلـه
ترنـو إليـك أجـنـة ولهـى وتحـدوك الاهلـه
وأنـا اسـاهـرك الـزمـان وتسهـرينى العمـر كلـه
نشـدو على وتـر الدمـوع فينتشـى جفن ومقلـه

(*) فى الجو عام ١٩٤٥م



بسمة الحب

يا حبيبـــى ولـــت الايـــام يعلـــوهـــا شحـوب
أســـكـرتها نغمـــة الحـــب وآذاتهـا القـلوب
وتمنت فرحـــة الـدنيـــا فأقـــوتها الخطـــوب
رحلـــت عنا على أجفانهـــــا اليـــأس يجوب
قد أذبـنــاهـــا علـــى الجمـــر فواراها اللهيـــب

***

يا حبيبــــــى ما لدنيـــا اليــوم تغـريـنـا بذكرى
تحمل المستقبل الحلـــــو وتُفضــــــى منه ســــرا
وتمنينـــا باماال الهوى تنســـــــاب سحــــــرا
تفــرقُ العتمـــة بالنـــور وتـــذرو النـــور زهـــرا
صور تسبى، من الفـــــن عليهـــــا الروح سكرى

***

يا حبيبــــى ها هو الحـــــب وفـــى عينيـه نور
وعـــلى مبســــــه الحلـــو أمـــــان وحبـــور

شيـع المـاضـــيَّ بالـدمــع لترويه السطــــور
وأثـــار الامـــل الـذاوى علـــى ناي يثـــور
يا حبيبى قم نَعِشْ للحـب ولتـــدر الـدهـــور



(*) واشنطن عام ١٩٤٧م

ذكريات
الى عازف الناى

أرقصِ النّاى والوتر
واحيي ما فات من ذكر
أعد اللحن ربما
يبعث اللحن ما دثر
ويح أمسي كأنه
صور زاحمت صور
لونها الورد يانعا
يملأ السمع والبصر
يجف القلب خافقا
كلما طيفها خطر
يعكس النور ظلها
هالة الشمس والقمر
كم ليال بها مضت
وأمان لها غرر

ونشـــيد مـــن الهـــوى
أنـــطق العـــود والحجـــر
وتـــلال عهدتهـــا
مرتـــع الانـــس والسمـــر
ويـــح قلـــبى تأججـــت
نـــار وجـــد بـــه استعـــر
ذِكـــر الامـــس ليتـــه
ليتهـــا عـــادت الذكـــر

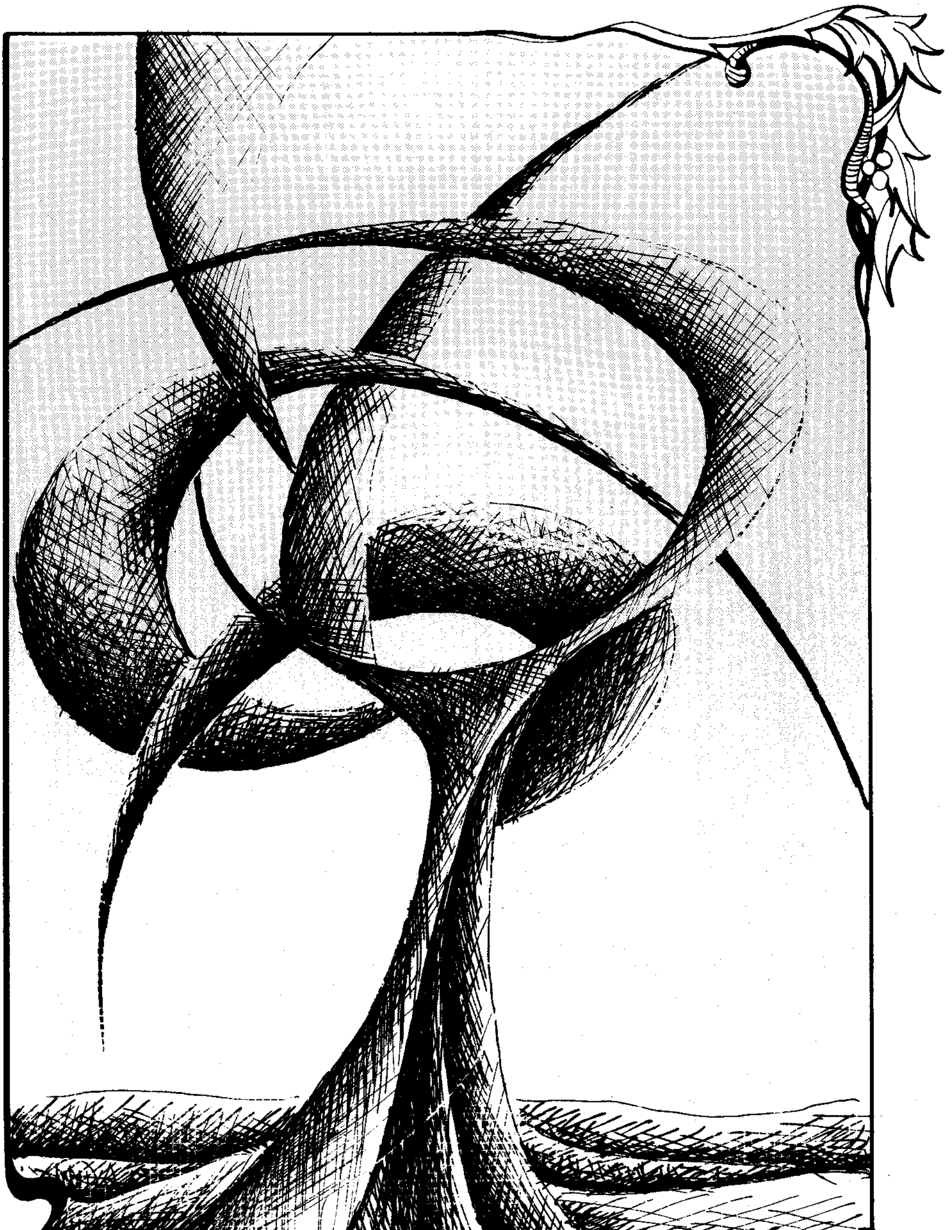


(*) ف القطار بأمريكا عام ١٩٤٩م

أنت السنا (*)

فى أى شـــىء تفكريـــن ؟
وعـــلام تقطيـب الجبيـــن؟
هـــل فى فـــؤادك من جوى
أم فيـــك كتمـــان اليقين؟
هذا الشبـــاب لـــه الدنـــى
ولـــه الامـــانـى والحنيـــن
خلـــي نهـــارك ســـكرة
مـــن طيـــب زهـــر الياسمين
ودعـــى الـــورى وهمومهـــم
أنـــت السنـــا والنـــاس طين

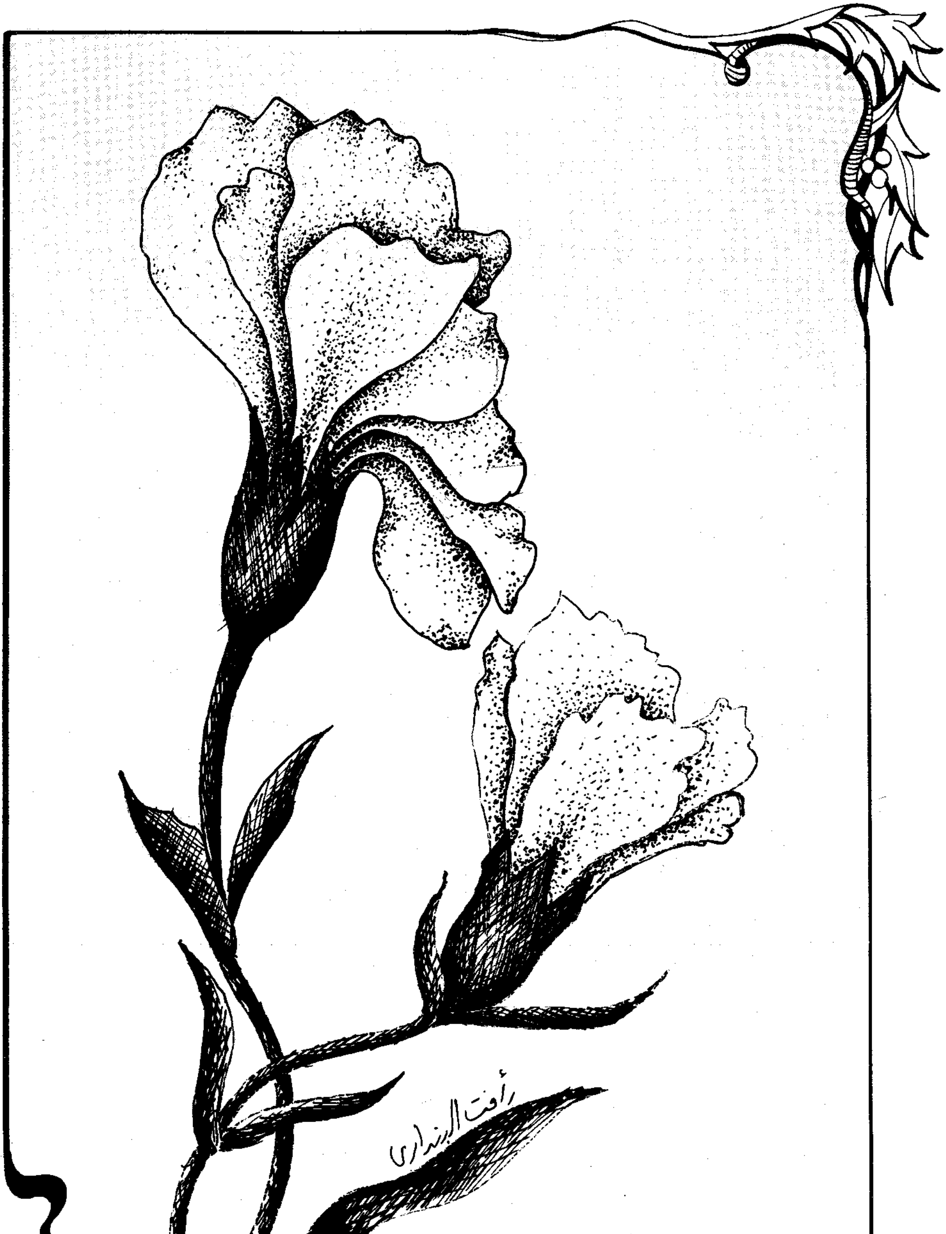
(*) نيويورك عام ١٩٥٢م



نديم الصبر

لا تحرك ساكنًا فى أضلعــى طــال سكونـــه
جن فى الليــل مع الليــل فأغـواه جنـونــــه
خافقــًا ظل على عهــد الهــوى والهوى بحر فنونه
هزه الشـوق على المـوج وألقته على الشط شجونه
يحتسي الـذكرى سلافــًا ورؤى الامس مجونـــه
يا نديم الصبــر أقرضه مـــن العمر سنينـًا لا تخونه
لا تعللــه بامـال وأحــلام فكــم خابت ظنونـــه
صابر أنت على الهم مــن الهمــة لكن من يعينـــه؟
يا نديمى رأفــة بالخـافق الواهى فقد بــح أنينه
هائم في الافق يرنو وإلى الغيب إلى الغيب حنينه

(*) جدة عام ١٩٥٦م


رأفت البنداري

نداء الحب

صوت ينـادى فمن يا قلب نادانا
ومن أهـاج بذكـِر الحب ذكرانا؟
لف الـظلام لـيـالينـا وكفنهـا
فلا النجـوم ولا الاقمـار ترعـانـا
نهفو إلى الامس تنشينا صبابته
والامس فى كأسنـا ما زال نشوانا
يفـيض من لهب الايـام لوعتـه
وينفث الجمـر فى الاحشاء بركانا

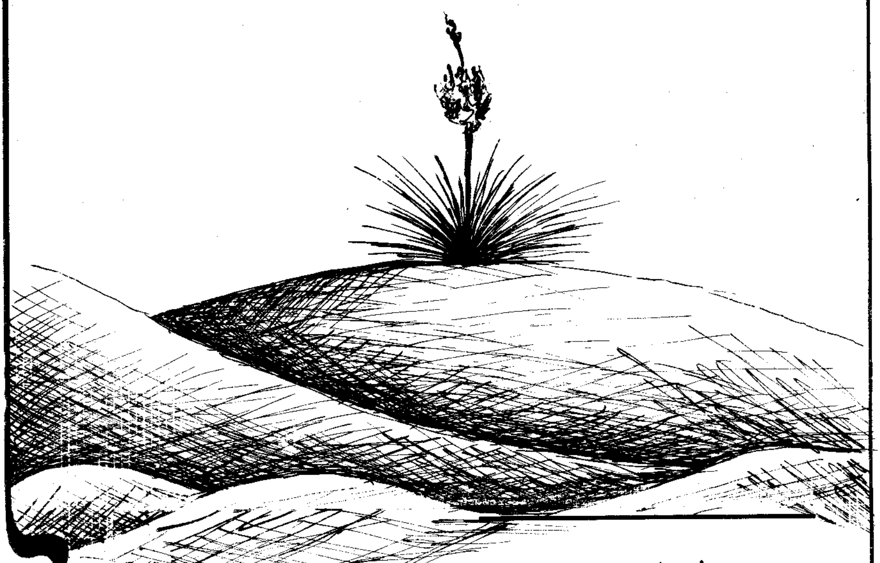
***

يا ساقي الطيب بالالحان تمزجـه
دعنى مدى العمر بالانغام سكرانا
أتيـه فى عالم الاوهـام مرتقبـا
من كوة الغيب أنـوارا ونيـرانـا

تضىء ظلمة دهرٍ ناء كاهله
من المقادير أشكالا وألوانا

* * *

خف النداء وبح الصوت وانهمرت
مني الدموع احاديثـًا وأشجانا
لم يهتف الحب إلا انني ثمل
نحرت قلبى له فى الامس قربانا
أهذى، أردد أصداء كأن بها
سحر الخلود طواه السر كتمانا



(*) نيويورك عام ١٩٥٢م

الشاعر والديوان

دراسة بقلم : د. محمد احمد حمدون
استاذ مساعد الادب الحديث ـ كلية البنات ـ جدة

فكرة إصدار هذا الديوان ضمن إصدارات المنهل قديمة ناقشها المرحوم الشيخ عبد القدوس الانصارى مع الشاعر، واتفقا عليها وعملا على تحقيقها. . حتى قبل صدور الطبعتين الايطالية والفرنسية للديوان. ولئن كانت قد حالت ظروف، فى مقدمتها مرض الشيخ ووفاته عام ١٤٠٣هـ، دون تحقيق تلك الغاية فى حينها، فإن الفترة التى أعقبت ذلك الاتفاق ـ وحتى هذا الاصدار ـ قد أثارت كثيرا من الموضوعات والقضايا حول الشاعر وشعره وقضية نشره ـ أو انتشاره ـ فى العربية الأم والحب والوطن، مما يجعل هذا الاصدار والدراسة التى نقدمها هنا مصاحبة له فرصة طيبة يلتقى فيها شاعرنا العربى بقارئه بعد أن تلاقت آراء وأفكار حول «الشاعر» ومكانته الرفيعة، و«شعره» وقيمته الفنية ـ عربيا وعالميا ـ وبعد أن كشفت هذه القضايا المثارة عن نصوص وأحكام فنية وموضوعية أمكن تضمينها ـ أو مناقشتها ـ فى الديوان ودراسته، حتى يمكن أن ندعى ـ بحق ـ أن هذا الاصدار العربى أتم وأوفى.

وإذا كانت هذه الدراسة تهدف إلى تقديم رؤية تاريخية ونقدية للديوان، وقراءة فنية وفكرية لقصائده، فإنها إنما تفعل ذلك فى إطار الموضوعية والتحليل النقدى لشعر استحق مكانته فى «الدرس الأكاديمى» للشعر العربى الحديث والمعاصر، كما أوحت بذلك آراء نشير إليها فى مواضعها(*).

وقد اشتملت هذه الدراسة على نقاط رئيسية ثلاثة هى :

١ ـ الشاعر وديوانه والوطن.
٢ ـ الديوان : دراسة موضوعية.
٣ ـ وقفة فنية مع قصائده.

وإننا بتقديمها نأمل أن نكون قد وفينا بحق شاعر سفير كان شعره سفيراً للشعر العربى خارج بلاده، ندى الصوت، لماح الصدى، مهدهداً للفكر والوجدان، مثيراً لأصدق المشاعر الانسانية المشتركة.

وعلى الله قصد السبيل.

١ ـ الشاعر وديوانه والوطن

■ فى خضم حياته الدبلوماسية الطويلة تنقل شاعرنا بحكم عمله ـ لا سيما سفيراً ـ بين أقطار عديدة فى الشرق والغرب، منها اليابان وتايوان وإيطاليا وسويسرا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها. كما حاول ـ فى نفس الوقت ـ متابعة الدراسات العليا فى مجال تخصصه (العلوم السياسية) فحصل على درجة الماجستير من جامعة جورج تاون بواشنطن (D.C.) ـ وهى من أشهر الجامعات الأمريكية فى هذا المجال ـ عام ١٩٥٣م بعد أربع سنوات من الالتحاق بها. وكان لهذا التنقل أثره فى تكوينه الفكرى والنفسى ـ وبالتالى الشعرى ـ حيث جمعت ثقافته التعليمية بين ما جناه من ثمار الثقافة الغربية ومناهج وتقنيات الدرس فى واحدة من أبرز الجامعات الأمريكية، إلى جانب الجزء الأكبر من تعليمه الجامعى وما قبل الجامعى فى واحدة من أكثر البلاد العربية تألقا وجمالا فى ذلك الحين لبنان. وكان قد سبق هذا التعليم وذاك ثقافة عربية إسلامية أصيلة تغذاها وليدا فى مكة المكرمة التى ولد بها عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م ونشأ وترعرع عليها طفلا ينهل منها فى بواكير حياته التعليمية.

● و إذا كانت ثقافته وتعليمه يبدآن من عمق التراث وأصالته، فإن ما ضمه إليهما خلال رحلته العلمية والعملية قد فتح أمامه نوافذ الشرق والغرب. وبحكم عمله واحتكاكه إلى جانب دراسته صار أهم عامل نلحظه فى تكوينه الشعرى هو تلك الأصالة المتفتحة ـ وجداناً ـ على عالم الانسان، ذلك الانسان الذى يبدو فى أبسط خصائصه ـ ومن خلال مرآة الشاعر، وعلى الرغم من الاختلافات الثقافية والحضارية ـ «كائنا محبًا».

■ **أحمد عبد الجبار شاعر سفير.** تلك محصلة «الاغتراب والانتماء». . والشعراء السفراء فى المملكة العربية السعودية ظاهرة تستحق الدرس والنظر. . منهم الأساتذة أحمد المبارك وحسن عبد الله القرشي وغازى القصيبي ومحمد حسن فقي ومحمد الفهد العيسى. وقد سئل القصيبي عن ذلك مرة فقال: «لعلها صدفة». . إن ما ينطبق على «السفارة» أو الدبلوماسية ـ عنده ـ «ينطبق على أية مهنة أخرى» وهذا هو سر تفسيره

الأمر بأنه «مجرد صدفة»، أما مؤرخو الأدب العربى فقد أوحوا إلينا منذ القديم بالربط بين «الشعر والسفارة»: ألم تكن القبيلة ـ فى القديم ـ تهنأ حين يولد فيها شاعر؟. ما ذلك إلا لأنه يصبح سفيرها المعبر عنها فى المحافل.. الذائد عن قيمها ومشاعرها وتراثها حين تحتكُّ بغيرها.. فلم لا يكون الأمر امتداداً ـ عفويا أو مقصودا ـ لتقاليد عريقة لم تسجلها الأحكام السلطانية ومراسيم الحكومات، وإنما حفرت فى وجدان أمة؟.

ظهرت بواكير الشاعرية عند أحمد عبد الجبار قبل أن يتم العشرين من عمره، فنشر ـ وهو فى لبنان ـ عددا من القصائد التى أثبتت قيمتها الفنية مثل «رسالة» و«وكان» و«شقراء» و«الملاح التائه» وغيرها. **وكلها قصائد تفوح بعبق الرومانسية وعطرها الفواح فى أشعار على محمود طه، ذلك «الملاح التائه» ورفاقه من أصحاب مدرسة «أبولو» الذين تغنوا بالحب والطبيعة، وانسالت قصائدهم «أغنيات» عذبة لليل والفجر والضوء والشفق.. والإنسان. وكانت قصائد الشاعر آنئذ تعبيرا ذاتيا، يعد ويبشر بمقدرة شعرية كانت الدافع لناشر مجلة الرسالة المصرية ـ الأستاذ احمد حسن الزيات، المعروف بحبه للأدب الجيد وتشجيعه للأدباء ـ أن ينقل قصيدة «الى الملاح التائه» عن مجلة المكشوف. «وكانت مجلة الرسالة آنئذ (١٩٣٩م) أرقى وأصدق منبر للأدب والفكر العربى بأسره».**

● وإذا كان نشر قصيدة بمجلة الرسالة و«استكتاب صاحبها الشاعر» دليلا على شاعرية واعدة، فإن نظرة فى قصائد هذه المرحلة الأولى (فى لبنان) توحى بخاصية «الذاتية» الرومانسية التى ذكرناها، حتى لنستشف فى تلك القصائد روحا مسيطرة على شعره هى روح «الكائن المحب» المعادل لانسان الشاعر. وربما كان هذا الكائن هو المفتاح لمعرفة «روح أشعاره» التى «يلزم لها» ـ حسب رأي الأستاذ عزيز ضياء فى «اثنينية» عبد المقصود خوجة التى عقدت لتكريم الشاعر ـ «الرجوع إلى دراسته فى لبنان حيث تبلورت شخصيته».

وبعد لبنان ـ وخلال العمل السياسى ـ نجد الرصيد الشعرى قد ازداد. فرغم «الصمت» الذى يحبذه عالم الدبلوماسية استجاب الشاعر لحركة الروح المائجة بالحب فى نفسه.. وكتب.. فى القطار، وعلى متن الطائرة.. فى الوطن حين عاد ضمن

زياراته المتكررة.. وفى الغربة حين ظل يعمل من الغرب، إلى الشرق، إلى الغرب مرة أخرى.. جاءت قصيدة «عاذر التنهات» التى كتبت فى نجد ١٩٤٥م، و«نديم الصبر» التى كتبت فى جدة عام ١٩٥٥م.. جاءتا على متن الحركة المائجة فى نفس الشاعر بين طرفى حب.. هو والوطن.. وفيهما لا تتخذ «الوطنية» شكل التعبير المباشر وإن حرك الأفئدة والقلوب من مثل قول شوقى:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه
نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وإنما ترد - الوطنية - «هما» فى الداخل و«همة» فى الخارج و«حركة كونية» تسبح فيها أطراف المعلقة:

وهزنى النغم المحموم وانبعثت
ذكرى صباي على كفىَّ، ألحانا
أبثك الوجد.. والكثبان صاغية
وأنت تنفحنى بالطيب ألوانا
فأسدل الليل ستراً من غلائله
وغام فى الأفق بدر كان يرعانا

■ والخطاب هنا لعاذر التنهات.

وفى «حنين الى الوطن» يقول بعد أن يشكو همومه فى الغربة:

لا الدُّجى يصغى ولا الفجر يعى
- يابلادى - لعذابى أو أسايا
ضلّ بى فى عالم الوهم السُّرى
والنوى حاد بدربى وخُطايا
وهواكِ البكرُ حىَّ ماثل
يلهب الحس ويغلى فى دمايا
كم أمنِّى النفس باللقيا. تُرى
هل لآمالى من عمرى بقايا؟

■ فالوطن عند الشاعر فى قلب منظومة الحب الكونية التى تفتحت براعمها فى لبنان

وليس مخاطبة للقضايا والمشكلات المباشرة التى تظهر على مسرح الأحداث السياسية وغيرها، مما خاطبه شعراء آخرون. . سفراء وغير سفراء. . ولكل وجهة هو موليها.

■ وكانت هناك قصائد أخرى تنتمى إلى هذه المرحلة من مثل «كيف أنسى» (الرياض ١٩٤٥) و«أنت السنا» و«نداء الحب» (نيويورك ١٩٥٢م) وقبلها «ذكريات إلى عازف الناى» (فى القطار بأمريكا عام ١٩٤٩م) و«غد شاعر» (باريس ١٩٥٢م). . وكان من نصيب واشنطن قصيدتان «أمانى العمر» (١٩٥٢م) و«حنين» (١٩٥٤م). وفى طوكيو (١٩٦١م) نظم «حداء» وفى بون كانت «أسطورة» (عام ١٩٦٤م). . و. . تتتابع القصائد. وكلها تدل على أن حركة الشعر لم تتوقف وإن بدا النتاج قليلا من حيث الكم. ولكن الشاعر يدرك ـ وندرك معه ـ أن المعاصرين لا يأخذون بالكثرة «على علاتها».

فتنبه المعاصرون ـ فى الخارج ـ إلى أهمية شعر أحمد عبد الجبار وجماله، وكان أن قدمت الباحثة الإيطالية ريتا ميليو Rita di Meglio بحثا قيما فى شعره إلى معهد الدراسات الشرقية فى نابولى، الذى نشره (عام ١٩٧٠م) ضمن إصداراته الأكاديمية السنوية.

ويذكر الدكتور عمر حليق فى دراسته التى نشرتها عكاظ أن الدوائر الأدبية والثقافية فى إيطاليا قد رحبت بالشاعر، ومنحه وزير الثقافة الايطالى جائزة الشعر عام ١٩٨٠م. كما أشارت إحدى المجلات الأدبية هناك إلى أن «الإقلال من الشعر فضيلة» وربما كان ذلك أحد الأسباب التى رشحت الشاعر للجائزة. بل لقد أقامت تلك المجلة مقارنة ذات مغزى بين عدد من الشعراء السفراء الذين حصلوا على جوائز نوبل الدولية فى الأدب فى السنوات الأخيرة (وهم من اليونان وأسبانيا وأمريكا اللاتينية) وكان المنشور من إنتاج كل منهم «لا يتجاوز ٣٠ أو ٤٠ قصيدة. . ومجموع ما نظمه الشاعر أحمد عبد الجبار أو احتفظ به ـ منشورا وغير منشور ـ لا يتجاوز ذلك العدد».

■ ولئن كانت تلك «القلة» قد أدت إلى حكم بأن «الدبلوماسية تغلبت على الشعر» فالخدمة الدبلوماسية «تستأثر بمعظم الجهد والوقت عند المحترفين لها» إلا أن من «القليل» أحيانا ما يجاوز حدود الزمان والمكان واللغة فى عالم الشعر، فتنطلق قصائد

ومقطوعات لعبد الجبار فى عدد من اللغات الأوروبية، ويتردد اسم الشاعر السفير، الكائن المحب، المتحرك بحركة الكون أو المسافر «فى دنيا المحال» فى أكثر من صحيفة ومجلة أدبية خارج حدود المملكة العربية السعودية.

● وكان من الطبيعى أن تتجه الأنظار إليه داخل الوطن السعودى. وسأل سائل: فأين شعر أحمد عبد الجبار؟. كان ذلك فى عمود صغير ذى تأثير واضح فى صحيفة عكاظ - «مع الفجر» لقد أثار الأستاذ عبد الله عمر خياط السؤال التالى: **فيم «عزوف» الشاعر عن النشر فى وطنه الأم؟**.. وقاد هذا التساؤل إلى دعوة «لمحاكمة» أدبية طريفة أرسى «حيثياتها» الأستاذ عزيز ضياء فى عمود «نشر وطى» حيث كان «الاستعلاء» - على النشر فى صحف ومجلات وطنه، لا على وطنه أو أهله - هو التهمة الموجهة للشاعر. وازدهر السؤال وحيثياته بطريقة «صحفية» «تثير» أكثر مما «تبحث» ولكن مردودها كان - بلا شك - خطوة صحيحة على طريق المعرفة بالشاعر فى وطنه الأم.

■ رد الشاعر السفير احمد خليل عبد الجبار على الأستاذين الخياط وعزيز ضياء بأن المسألة «زهد لا استعلاء» وانه ينشر قصائده فى الغرب «بحكم اغترابه». و«الحقيقة» - هكذا يؤكد - «أننى رجل مقل فى النظم، ضنين فى النشر، وربما لا تزيد قصائدى على الثلاثين قصيدة، وأى كتاب سيحتويها سيكون صغير الحجم. وإذا كنت قد نشرت فى الغرب، فهو بسبب وجودى فيه سنين طويلة، ولم أحجم عن النشر فى بلادنا إلا لتلك الظروف ولعدم غزارة الانتاج أو الرغبة فى الشهرة.. وربما لا يصدقنى أحد إذا قلت - وهو الواقع - إننى لا أحتفظ بجميع ما نشرت فى الجرائد والمجلات من أشعار وبحوث..».

● لكننا نصدق الشاعر فعلا. فها هو ذا يلقى بعض قصائده خلال «اثنينية» الأستاذ عبد المقصود خوجة التى عقدت لتكريمه فى ١٨ رجب ١٤٠٥هـ ١٨ ابريل ١٩٨٥م. وبالرغم مما يتمتع به من ذاكرة قوية فى حفظ أشعاره نجده يذكر أن «زفرات» و«أسطورة» لم يسبق نشرهما مع أنهما معاً نشرتا فى الدراسة التى قامت بها ريتا ميلو قبل ذلك التاريخ بخمسة عشر عاماً (١٩٧٠م)، وما ذلك إلا لأن الشعر فيما يبدو - يمثل من حياة الشاعر مرحلة كانت.. ولذلك قال عنه الشيخ عبد القدوس

الانصارى ـ رحمه الله ـ لو سأل عبد الجبار عن الشعر أصدقاؤه لقال: «إن حياة الفرد بمثابة قصة تاريخية.. وكان الشعر فى قصة حياتى الموجزة التى لم تنته بعد أشبه ما يكون بالفصل الأول..».

● ونقول: «وكانت الحياة الدبلوماسية.. وما تتطلبه أحيانا من صمت وعزوف عن الأضواء.. هى «الفصل الأكبر»، لا سيما عند شاعر يقدر مسؤولية الكلمة فى شقيها ـ التعبيرى الجمالى والتقريرى المنطقى ـ إضافة الى «استجابة ذاتية خاصة». لكن ـ نقول مع غيرنا ـ: «ما بالكثرة يكون الشعر».

● على أن إثارة الموضوع على هذا النحو الذى تناولته به عكاظ أفاد كثيرا، ولكن ربما أوهم بأشياء نرى من الواجب علينا توضيحها فى هذا المجال:

■■ فمن ناحية.. يتقرر «زهد الشاعر فى الشهرة»، و«تواضعه» فى أن لا يضع نفسه فى مصاف كبار الشعراء من أبناء جيله فى المملكة، و«قلة إنتاجه» نسبياً.

●● ومن ناحية أخرى: تردد كثيرا ـ حتى أصبح كالحقيقة المقررة ـ أن الشاعر لم ينشر إنتاجه فى وطنه. فالدكتور عمر حليق ـ وهو فيما ورد فى مقاله: «صديق وزميل للشاعر لأكثر من ثلاثين عاما وله اطلاع واقتناء للمنشور من إنتاجه» ـ يعلق على قصيدة «حنين» بقوله: «ولا أظنها نشرت». والحق أنها قد نشرت فى المنهل مرتين كذلك ذهب الأستاذ عزيز ضياء الى أن «جميع القصائد التى استشهد بها الدكتور عمر حليق قد نشرت فى بيروت وغيرها».. جاعلا من هذا دليلا على «استعلاء» الشاعر على «نشر قصائده فى صحف ومجلات المملكة».

والحق كذلك أن كثيرا من هذه القصائد كانت قد نشرت بالفعل فى المنهل. وقد أشار الشاعر فى رده على هذا الاتهام بما يؤكد أنه كان على صلة بصاحب المنهل، واتفقا على نشر مجموعة بعنوان «واحة العبير» الى جانب ما ينشر منها من قصائد مفردة فى تلك المجلة السعودية التى تصدر منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان.

● أكثر من ذلك.. لقد شارك الشاعر فى حركة النهضة الأدبية فى المملكة، حيثما وكيفما أتيح له. فإلى جانب سلسلة مقالاته فى المكشوف البيروتية «ويسألونك عن الأدب فى الحجاز» شارك فى الاستفتاء الأدبى الذى وجهه الشيخ الأنصارى فى مجلته عام ١٣٦٥هـ والذى يدور ـ كما سبق ـ حول: «الأدب السعودى وهل يصلح

للتصـديرا . . وكانت إجابته تحمل فى طياتها كثيرا من الملاحظات النقدية القيمة، وتعطى صورة مقنعة ـ على إيجازها ـ عن مفهوم الأدب والشعر عنده، مما يؤكد فهمه فى تلك المرحلة المبكرة من النهضة الأدبية الحديثة لمتطلبات الفن الأدبى وأصوله.

■ فتتلخص إجابته فيما يلى:

١ ـ الأدب الحى لا توزن قيمته بالأرطال، ولا يجرى عليه ما يجرى على بضاعة ما من بيع وشراء وتصدير واستيراد. . «إنما هو الذى يفرض إرادته على سوق القراء فرضا».

٢ ـ بعد أن يستبعد «الشعر النبطى» من أن يكون موضوعا للتساؤل لما يتسم به من «محلية» ـ ككـل الآداب الشعبية ـ يقسم الأدباء إلى أقسام ثلاثة: قسم يتبع منهج القدماء أسلوبا وموضوعا، وقسم وَسطٌ تأثر بالمصريين والشاميين، وقسم جمع إلى ذلك أدب المهجر. . ولكن الأدب فى كل هذه الأقسام «تقليدى» راجع «للظروف التاريخية» التى أحاطت بالأدب والأدباء.

٣ ـ ولم يستبعد الشاعر ـ وهو يعطى تلك اللمحات النقدية ـ أن بإمكان هذا الأدب أن ينهض وأن يتبلور فى صورة تبرز الشخصية إذا ما تحقق له شرطان: ثقافة الأديب، وتأمين وسائل النشر.

٤ ـ ومما يؤكـد بعـد نظر الشاعر فى مفهوم الأدب آنئذ قوله: «لابد لنا من ابتكار المـواضيع، والتفنن، والخـروج من الدائرة الضيقة التى رسمتها لنا مدرسة الأدب القديمة. ويجب أن نسمو بأدبنا من المادة إلى الروح، ومن التصوير الحسى إلى الخيالى المعنوى، وان نلاحظ دائما متانة وحلاوة المبنى والمعنى فى التركيب».

● وهكذا لم يكن أحمد عبد الجبار بعيدا عن حركة الأدب فى المملكة نشراً لقصائده أو متابعة للحركة الأدبية فى مسارها المحلى والعربى، فضلا عن عطائه فى المجال العالمى.

■ وإذا كان لتلك «الزوبعة» التى أثيرت حول «استعلائه» أو «زهده» من فائدة، فإنما هى توجيه مزيد من اهتمامات القراء والباحثين فى المملكة تجاه شعره، يبحثون عنه، ويقرؤون ما تقع عليه أيديهم، ففى شعره لا شك حلاوة تغرى. أما هو فقد كتب رداً لعكاظ وأهداها عددا من القصائد التى والت نشرها تباعاً فى أعداد لاحقة على حين واصل الذين عرفوه وواكبوا شعره منذ ما يقرب من نصف قرن قراءة ما يتاح لهم هنا وهناك حتى صدر هذا الديوان العربى.

● وجدير بالذكر الإشارة إلى أن هذا الديوان يتضمن كل ما أتيح لناشره من أشعار الشاعر العربية. وقد سبق بطبعتين: إحداهما إيطالية بعنوان:

FRAGRANZE DEL DESERTO

Liriche Di Un Ambasciatore Saudita Lo Sheikh Ahmed Abdul Jabbar

مع تقديم وترجمة وتعليق ريتاميليو. Rita Di Meglio، روما ١٩٨٩م. وقد احتوت تلك الطبعة على سبع وعشرين قصيدة ومقطعاً بالايطالية عن أصول عربية كلها مضمنة بهذه الطبعة العربية.

■ أما الطبعة الفرنسية، وقد شارك فيها بالترجمة ـ مع نفس الباحثة ـ الدكتور أنور حاتم، أستاذ الأدب الفرنسى فى جامعة فريبورج السويسرية، فقد اشتملت على إحدى وعشرين قصيدة فقط (بالفرنسية) وإن تضمنت الدراسة التقديمية عددا من المقطوعات. وكلها أيضا مما يشمله الديوان فى طبعته العربية. وعنوان الطبعة الفرنسية هو:

AHMAD ABDUL JABBAR

(FRAGRANCES DU DESERT)

(Poe'mes)

مع ترجمة من العربية بقلم ريتا ميليو وأنور حاتم، ومقدمة بقلم أنور حاتم.

● غير أننا نود أن ننبه إلى أن هذه الطبعة العربية وإن شملت جميع القصائد المعروفة للشاعر فى أصولها العربية إلا أنها لم تشمل قصائد صاغها الشاعر فى لغات غير العربية.. وقد تكررت الإشارة فى مصادر عدة إلى أن أحمد عبد الجبار له قصائد مترجمة عن العربية، وأخرى أنشئت أصلا فى غير العربية. وقد أشرنا إلى أن دراسة ريتاميليو التى أصدرتها ـ قبل إصدار الديوان الايطالى ـ ونشرتها فى حولية معهد الاستشراق فى نابولى (١٩٧٠م) فيها قصيدتان باللغة الانجليزية هما (Fate) (قدر) و What To be (ماذا يكون) وستتعرض لمضمونهما عنددراستنا للنواحى الموضوعية فى شعره.

٢ ـ الديوان: دراسة موضوعية

بين مطالبة الأستاذ عبد الله عمر خياط دور النشر «بإصرار» لإصدار ديوان الشاعر، وردُّ الأستاذ عزيز ضياء متسائلا: «ما الذى يحمل دور النشر على ذلك ما دام هو مصراً على الزهد فى النشر أو على الاستعلاء على النشر فى صحفنا ومجلاتنا؟ كان الأستاذ نبيه الأنصارى، صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل، يجدُّ فى البحث عما تحويه ملفات والده من شعر أحمد عبد الجبار المنشور وغير المنشور. وخلال الفترة التالية لتلك «الإثارة» الصحفية ـ وبالتداول مع الشاعر ـ كانت تلك النتيجة التى بين أيدينا. . ديوان الشاعر بالعربية. . أخيرا.

● وأول ملاحظاتنا على هذا الديوان ومحتواه العام هو أن أكثر من نصف قصائده «غزل عف» (من ٤٩ إلى ٩٢) وقد كان هذا الغرض ـ ولا يزال ـ من أرقى مستويات التعبير الشعرى وأكثرها دلالة وصدقا. على أن الأغراض الأخرى عند الشاعر لا تختلف عنه كثيرا، إذ ترجع جميعا إلى سيطرة «عاطفة الحب» وصدور الشعر عنها. . الحب بأسمى معانيه من انسجام كونى يسيطر على «الكونيات» المجموعة الأولى من القصائد من (٩ الى٢٢). . إلى ذوب نفس وفرط حنين تموج بهما «الوطنيات» (من ٢٣الى ٣٨). . الى اتصال ودود ببعض من جمعتهم به ظروف الحياة فى «الاخوانيات» (من ٣٩ الى ٤٧). .

● بل ويستطيع المتأمل فى الديوان أن يراه كله انصهارا من الشاعر فى محيطه: أرضا وسماء وبحرا وجوا ووطنا وناساً. . لا يفسده ترتيب أو تبويب، وإن كانت القصائد فى ترتيبها تنمو وتتطور من الخارج نحو الداخل.

إنه تعبير ذاتى يبدأ من النفس فى تطلعاتها وإشراقها «بحرها السماء. . وزورقها البدر». . وتضنيها غربة عن الوطن من أجله. . فيظل «هواه البكر حياً» «يلهبها ويغلى فى دماها». . وهى النفس لا تزال للاخوان تواقة. . وبالحب هائمة. . رفرافة. . سابحة. . «ساريتها الأحلام» وأشرعتها أمنيات المحبين فى كل مكان. .

إن الديوان ـ وبالشكل الذى رأينا ترتيبه ـ يسير فى حركة دائرية من النفس إلى النفس. . من النفس وهى تمتد إلى أبعد نقطة فى الكون، لا لتعود مثخنة بالجراح، مهمومة بطلاسم وألغاز الوجود. . إلى النفس وهى تغوص فى أعمق أعماق الذات، لا لتعيش هناك محبوسة فى كيانها، مقيدة فى أنانيتها. . إنها النفس. . اتسعت وضاقت. . وبعدت واقتربت. . تاهت فى «متاهة الكون». . ورقّصت الناى والوتر، ولكنها ظلت دائماً على أرضها، وتحت سمائها، ومع ناسها، وفية لشعورها.

الديوان كله ـ إذن ـ قصائد ومقطوعات ذاتية تصدر عن «الكائن المحب» ـ كما أسلفنا ـ قوامها الحلم والفردية والانصهار فى الطبيعة بشكل رومانسى. . ومن هنا فهى جميعا قصائد حب أولا وأخيرا.

■ والشاعر ـ كما قال عن نفسه ـ إنسان «بسيط» وهو ـ كما نراه ـ شاعر «عميق». . هذه هى خلاصة الشخصية. . وإذا كان شعره مرآة لشخصيته ـ وهو فى الحقيقة كذلك ـ فإننا أمام شخصية كانت «بساطتها» هى «المُوَجِّه» و«الكاشف» لطبيعتها وفطرتها وصدقها فى المواقف واللحظات الشعرية، حتى غدا هذا الشعر وكأنه حديث النفس للنفس يطرب له كل من يفتح له قلبه. ومن هنا كانت الوطنيات والكونيات كالاخوانيات والغزل العف. . تماما «حبا» وحسب. . فنحن لا نملك معه إلا أن نحب هذا الكون ونذوب فى مظاهره أو نذيبها فينا. . ولا نملك معه إلا أن نحب «الوطن». . الروابى الخضر. . العرار والقيصوم. . الأنهار الجارية أو الصحارى المقفرة. . لا فرق. . ننتمى ونحن فى «عز الغربة». . ونغنى ونحن فى «عز الألم».

■ غير أن بساطة الشاعر، ووضوح الخط الوجدانى القائم على «الحب» مفتاحا لكل قصيدة، لا يمنعنا من البحث عن الانسان المجرد فى هذا الشعر ومعاناته «كينونته» و«صيرورته» معاً.

■ لقد قلنا من قبل إن للشاعر قصيدتين باللغة الانجليزية حول «القدر» و«ماذا يكون» ـ كما وجدنا ذكر «القدر» يتردد فى كثير من قصائده فى هذا الديوان بلفظه الصريح أو بمرادفه أو معناه. .

«ماذا تخبىء يا قدر ـ البيت الاول من (زفرات)

«. . إننى. . أهوى ابتسامك يا قدر » ـ البيت السادس من (زفرات)

«عمرى. . . أضنى عليه القضاء» ـ البيت الرابع من (يا ليل)
«لأين لأين نسير؟ وكيف وماذا المصير؟» ـ البيت الاول من (لأين).
«ذهلا عن القدر اللعوب. . » ـ البيت التاسع من (ذكرى لبنان).
«. . قدر يشاء ولست أطول باعا. . » ـ البيت الاول من (وداع روما).
«آهة الأقدار فى كأس هوانا. . » ـ البيت السابع عشر من (الى الملاح التائه).
«وللمجهول سرانا. . ووادى الغيب وادينا» ـ البيت الثانى عشر من (سارية الأحلام).
● وهذه نماذج لا تغنى عن حصر.

وباستثناء «المزلق اللغوى» الذى وصف القدر بـ «اللعوب» فى قصيدة «ذكرى لبنان» نقول إن موقف الشاعر من القدر موقف كونى يعبر عن «إنسان» منسجم مع الوجود. . يتساءل؟: نعم. لكن: يتململ أو يرفض أو يتبجح؟: «لا». . ومن هنا نرى إنسانه ـ فى الحقيقة ـ لم يتأثر بإنسان الغرب الذى قضى فيه فترة طويلة من حياته. . .لم يلبس ثوب «بروميثيوس» «الساخط» ويخلع ثوب «أيوب» «الراضى». . فالمجهول مهما تعقدت طريقة الوصول إلى كنهه، والحادث مهما عظمت مصيبته، كلاهما جزء من السيمفونية الكونية التى يرسم منها الشاعر أطر صوره الفنية ومواقفه الشعرية. . ولئن بدا لنا فى رحلته الى الغرب. . «تائها. غريبا فى بلد غريب. . مرهق الأعصاب. . تتكاتفه الظروف القاسية. . أطبق عليه الجو وأظلم فى وجه النهار فلا يرى صبحا ولا كوكبا». وهو ما لاحظه الشيخ الأنصارى منذ ما يزيد على ثلاثين عاما إلا أنه يواجه المصير بشجاعة المؤمن الذى يرى القدر أطول باعاً ويهوى ابتسامته. ومحنته ليست ـ إن وجدت ـ سوى ذهاب العمر وغياب المحبوب، فإن عاد عادت البهجة والانسجام:

أيـن تلك الـرُّؤى وتـلك الأمـانـى؟
وروابـى الـعـبـير دنـيـا الـعـبـيـق؟
أتـراهـا فى غفـوة الـعـمـر كانـت؟
أم تراهـا من الخـيـال الـرقـيـق؟
أيـن عهـد الـشـبـاب؟ للحـب بحـر
كلنـا بين سابـح وغـريـق

■ على أن الشاعر لم يخاطب قضية الانسان والقدر، فقط بمثل تلك التعبيرات المباشرة بين «تساؤل» و«رضى» و«تسويغ» وإنما وصل بها إلى حالة من «الدراما الكونية» التى

تتداخل فيها الأمكنة ـ الشرق والغرب ـ تداخل «الأزمنة» عند اليوت، فأصبحت تلك العناصر التى ألفناها مواد لصوره الفنية شخوصاً تحرك مأساة الشاعر نحو ذروتها يقول:

وإن جعلتُ الشرقَ لى وجهة
تحوَّلَ المشرق لى مغربا
أسير وحولى الدُّجَى مطبق
وحظى من الدهر ما غيَّبَا
كأن الحياة لها لجة
يزف القنوط بها مركبا
أحدق فى الأفق فى صحوه
فيرخى على سحره غيهبا
وأشكو إلى الورد شوكَ الأسى
فيرمى بأشواكه مخلبا

■ إلى أن يقول:

أجدِّف فى الوهم لى زورقا
وشط الأمانى بدا خلَّبا
أنا والزمان على موعد
وعهدى به لم يزل قُلَّبا

■ فالمأساة ـ مأساة الانسان فى كل زمان ومكان ـ هى هنا عدم قدرته على توجيه مصيره نحو ما ينشده من سعادة وتناغم فى الزمان والمكان.. وهنا المتمرد «يرفض».. والشاعر «يحزن».. والمؤمن «يسلم».

وما كان عبد الجبار متمردا ليرفض.. ولكنه الشاعر «يحزن» والمؤمن يقول فى تفاؤل وهو يسلم للقدر العنان فى نهاية أمره:

هذا الزمان خطى مقدرة سنخطوها ونفنى
وتخطّ فوق جبينه أنفاسنا سحرا وفنا
وتردد الأجيال أشعارا لنا لحناً فلحنا

٣ - وقفة فنية مع قصائده

تبدو القصيدة عند الشاعر استجابة طبيعية وتأكيداً عفويا للمفهوم الجديد للشعر الحديث الذى دعى إليه أصحاب مدرسة «الديوان» و«أبولو» و«المهاجر» إذ تقوم القصيدة فى رؤيتهم على «وحدة عضوية» أو «تصميم هندسى» - كما يرى الدكتور مندور رحمه الله - يصبغانها بصبغة فنية منسجمة الألوان والتراكيب. . وهى فى وحدتها وتصميمها تتخلص من الزوائد أو الاستطراد أو الخروج عن موضوعها لتشبع نسقا عروضيا أو تكمل تفعيلة، على الرغم من التزام الشاعر بالانماط العروضية التقليدية أو بالأحرى «الموروثة». لقد التزم الشاعر - إذن - من التجديد بمبدأ «صدور الشعر عن الشعور» و«وحدة هذا الشعور» كأساس جوهرى فى بناء القصيدة دون أن يخل بجانب الشكل الموروث فى هذا البناء.

ومن هنا بدا شعره للأنصارى - منذ بداياته - مصبوغا بصبغة البلاغة العربية المشربة بروح العصر، وأدب العصر الواعى، ذات النظرات السامية والاتجاهات الهادفة أو أنه - أى الشعر - عنده «يسير فى اتجاه جديد غير ذلك الذى ألفناه عند المجددين (من أمثال فؤاد الخطيب) فى الأسلوب وفى طريقة عرض الأحاسيس وبث النجوى والشكوى. . الخ.

■ والحق أن كل الذين رأينا لهم آراء فى شعر عبد الجبار يجمعون على خاصية سمو البناء الشعرى فى قصائده، فهو لا يراعى فقط رسم صورة متكاملة لاستجابة شعورية موحدة فى القصيدة - وهو أهم ما نراه فى بناء قصائده من تجديد - وإنما يعنى - كذلك - بالدقة الصارمة فى الشعر العربى وشروطه فى اختيار نفائس الكلمات وموسيقى اللفظ وسلامة التعبير فى بليغ المعانى. ونظم القصيدة عنده - كما عند العرب منذ القدم - «عمل فكرى وفنى جليل يستوجب التقيد بالبحور والأوزان ونفائس الكلمة وبلاغة المعنى والذوق الجمالى»، ولهذا «لم يجد أى مبرر له أن يتخلى فى صياغة القصيد عن تقاليد الشعر العربى الكلاسيكى.

فبناء القصيدة على هذا النحو يشعرنا بتقليدية لا تمل، لأنها تقوم على أنساق موسيقية يهتز لها الشعور ويطرب الوجدان، «وبتجديدية» تُدهش وإن كانت تتساوق

مع الشعور ولا ترهب الوجدان.

● ولنقف عند قصيدة «رحلة» التى تعد فى بنائها نموذجاً رائعا لأكثر قصائد الديوان.

يشير الشاعر إلى ان الدكتور شارك مالك علق على مطلع القصيدة:

بحـرى الســماء وزورقـى البـدر
سر يا شراع وموجُـك الـفكـر

بأنه ـ مالك ـ لا يعتقد أن واحدا من مكة يقول: «بحرى السماء.. الخ».. «ولربما سرقها الشاعر من الأدب اليونانى».. فالشعر العربى السعودى ـ عنده آنئذ ـ كالقديم، وقوف على الأطلال والدمن.. وليس هناك من جديد.

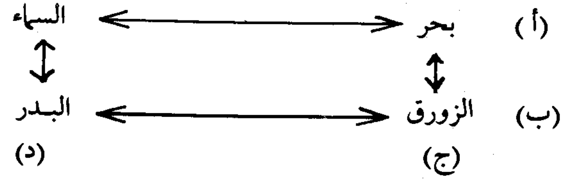
■ لكن «رحلة» لم تصدر عن أدب يونانى قديم، كما وضح الشاعر. بل ولا عن أدب غربى أو شرقى أو ـ حتى عربى ـ قديم أو حديث.. إن مصدرها الأول والحقيقى هو تلك «اللحظة الشعورية» التى تفجرت عند الكائن المحب، فانسالت صوراً متنامية ينسجها الخيال من أطراف مترامية لتعطى فى النهاية تجربة خاصة وجديدة يتضح فيها جلاء صفة الكائن المحب التى نصرعليها.. فالشاعر هنا واحد من وفى الكائنات التى تشكل عالمه.. السماء والقمر والدهر والليل.. والبحر والأنوار.. والحب والمحبوب.. بل والشعر ذاته.. وهذا العالم هو «الكل فى لحظة» وهو ـ كذلك ـ مادة الصورة البنائية التى يتضح منها أن التجديد عند الشاعر يتعلق بروح وجوهر البناء الشعرى لا بشكله الموسيقى. فقد صيغت تلك المنظومة الكونية (فى اللحظة الشعرية) فى قالب موروث يتميز بالقدرة على تأكيد الاستمرارية الفنية Artistic Continuety والتى تعد من أهم ضوابط التجديد فى النص الأدبى الحديث.

فاذا كان الشاعر الحديث مسئولا ـ تمثلا وتمثيلا ـ عن الشعر العربى كله منذ المقطوعات والأرجاز الأولى وقصائد امرىء القيس والنابغة وإلى شعر المعاصرين له، فإن هذه المسؤولية لا تتضح إلا فى إرساء خط التقاليد الفنية (وهى هنا عروضية موسيقية) التى يرتبط فيها «الموروث» «بالإبداع» ارتباطا يؤكد استمرار الماضى فى الحاضر، وهذا هو جوهر القضية فى مجملها الذى يجب أن ينصرف إليه المجددون والمعارضون على السواء.

■ إن «رحلة» ـ ككل قصائد الشاعر ـ تلتزم بهذا الخط الموروث، وهو ما حبذته ريتا ميليو وأنور حاتم، بالنسبة لشعر الشاعر ورأيا معه أن اكثر الشعراء العرب المعاصرين حادوا عن هذا الخط دون مسوغ معقول. ونحن معهما فى حكمهما على الشاعر. وإن كنا نضيف إليه أن البناء الفنى لقصائده قد أفاد من فلسفته الخاصة، وهى الفلسفة التى وصفهـا المرحوم الشيخ الأنصارى بأنها: «فلسفة صوفية دقيقة الإحساس.. خفاقة.. فيها يشدو الشاعر بجمال الكون دائما.. وتخترق شاعريته الآفاق وتشجيها نغماته، ولذلك كثيرا ما نسمع عبارات الشط والبحر والليل والضياء.. ان مظاهر الكون تتحرك دائما».

وفى هذه الفلسفة.. تتضح لنا كينونة الشاعر فى تلك الكائنات التى لم تعد مجرد مواد لرسم أبعاد الصورة الفنية بقدر ما هى عناصر متداخلة فى ذاته هو. وبذلك أصبـحت القصيدة بالـرغم من ذاتيتهـا (Subjictivity) تجريداً (abstract)، كما اصبحت الصورة الفنية (imagery) عملا فنيا داخليا فى كيان الشاعر (intrinsic) على الرغم من وجودها الخارجى (extrinsic) لأنه هو ذاته عنصر من عناصر تكوينها.

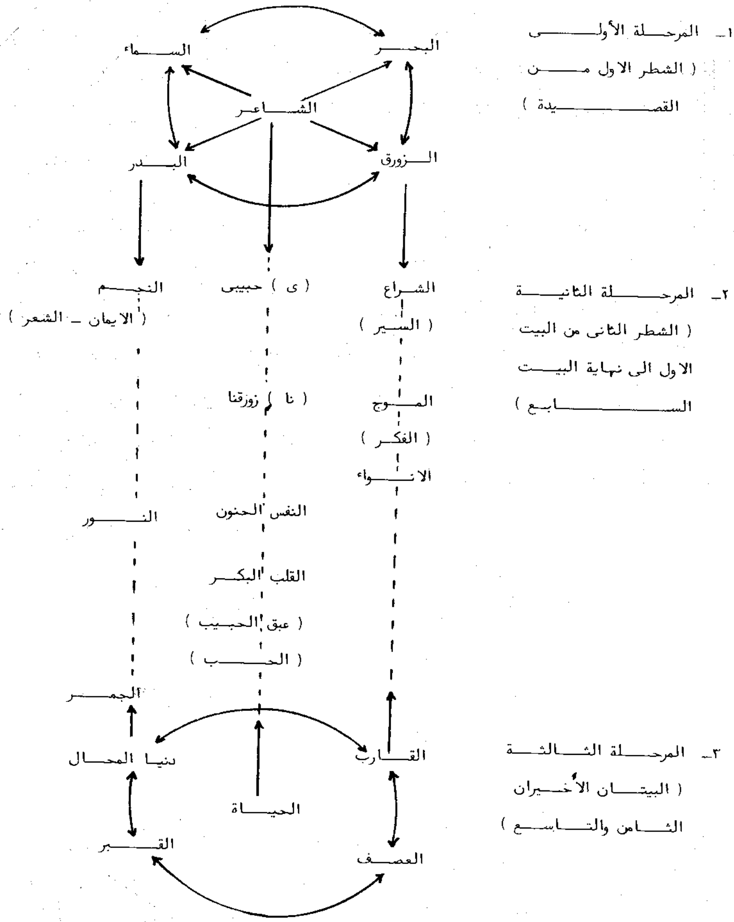
● فى «رحلة» البحر (السماء) والزورق (البدر) كلاهما مضاف الى «ياء المتكلم» فى الشطر الأول من البيت الأول. وهذا يؤدى الى تحديد الأطراف الأساسية فى الصورة الفنية على النحو التالى: (شكل١).



(شكل ١)

■ ففى كل من الخطين الأفقيين (أ) و (ب) علاقة تشبيه: البحر بالسماء والزورق بالبدر. ولكنهما يتضمنان أيضا خطين رأسيين مبنيين على تشابه «مادة» الصورة فى كل منهما: البحر والزورق من ناحية، والسماء والبدر من ناحية أخرى.. وفى نفس الوقت تشكل هذه الأطراف الأربعة فيما بينهما حركة دائرية مركزها الشاعر (ياء المتكلم) فى

الوسط، وتؤول إليه كل العناصر الأربعة «بحرى السماء وزورقى البدر» . . ونلاحظ أن هذه العناصر فى الصورة جميعها من المحسوسات (Conrate) . ثم تبدأ الصورة فى النماء فى اتجاه رأسى وبإضافة المجردات، كما يتضح من الشكل٢ :



■ هنا نجد أن خطوة نماء الصورة (٢) ابتداء من الشطر الثانى من البيت الأول وحتى نهاية البيت السابع قد امتدت من الدائرة الأساسية فى اتجاهاتها الرأسية الثلاثة:

١ ـ البحر فالزورق، إلى الشراع والموج والأنواء.

٢ ـ السماء فالبدر، إلى النور والجمر والنجم.

٣ ـ الشاعر، الياء و «نا» والحبيب والنفس والقلب والعبق.

■ وفى هذا الامتداد بدأت مكونات الصورة تضيف إلى المحسوسات قدرا من المجردات، فالشراع ـ وموجه الفكر ـ يسير إلى الحب المعادل للنور والإيمان والشعر كما بدأت تتفرع أجزاء الصورة وتتداخل لتجعل من هذه العناصر الكونية ـ بما فيها الشاعر ـ صورة «صوتضوئية» تتراوح أطرافها بين السماء والفكر من جهة، والبحر والليل وأسمار المحبين من جهة أخرى.

■ على أننا نلاحظ أن البيت الثالث:

الحب فى الدنيا نشيد اسى

والحب فى نايي له عطر

جاء نوعاً من الحكمة التى نجح الشاعر الى حد كبير فى أن يربط طرفيها (الحب فى الأرض والحب فى نايه) بركن من أركان الصورة الفنية الرئيسة، اعنى «عبقة الحبيب».

● نعود إلى حركة نمو الصورة الفنية فى القصيدة فى جزئها الثالث والأخير:

يا بحرُ إن تعصف بقاربنا

يهوِ الحياة وينقض العمر

يا شراع فإن وجهتنا

دنيا المحال وشطنا القبر

هنا نجد القصيدة قد نمت إلى حركة «درامية» تجمع الاتجاهات الرأسية الثلاثة مرة أخرى، وفى شكل دائرى، حول «الحياة» كمركز معادل «للشاعر» الذى هو مركز الدائرة الأولى من الصورة الفنية فى مجموعها. ففى سبحة القارب فى بحر عاصف تصبح الوجهة دنيا المحال.. والنتيجة القبر. وربما قيل إن هذه الدراما آلت الى لون قاتم لولا أن الشاعر وضعها فى أسلوب شرطى «يا بحر. إن تعصف..» مما يجعلها تتفق وما قررناه حول «إنسان الشاعر».

● أما الخصائص الفنية للقصائد فى مجموعها فإنها توحى بسمات بنائية وتعبيرية متعددة إلى جانب هذا البناء القائم على صور متنامية أو موسعة، ولكنها فى الغالب دفقات شعرية موحدة الأطراف، كالقصيدة التى شرحناها، و«حنين الى الوطن» و«ياليل» و«متاهة» وغيرها.

ومن أهم هذه السمات تنوع التوزيع المقطعى للقصائد، فقد تفنن فيه الشاعر بطرق مختلفة.

● ففى «غد شاعر» ثلاثة مقاطع الأول من ثلاثة أبيات والثانى أربعة والثالث اثنان. وواضح أن كلا منها دفقة شعرية تبدأ بنداء «الغد»: (غدى يا . .) ولكنها جميعا تشترك فى العناصر المكونة للصورة (وهى صورة موسعة أساسها الزمن). فالزمن (الغد) والمتكرر فى المقاطع الثلاثة هو الزمن «العام» فى المقطع الأول (الزمان ـ الأعصر) وهو يستحضر «الماضى» فى المقطع الثانى:

أرى عالم الأمس منحورة
لياليه فى عالم أغبر

كما يستتبع «المستقبل» فى: (شروق الغموض ـ لن أفض جفونى . .) فى المقطع الثالث.

ووعى الشاعر بلحظات زمنية بعينها يستحضر ـ كذلك ـ «ربيع الهوى» و«الشفق المبكر» و«يومى المقفر» و«لياليه» فى عالم أغبر و«الشروق» و«الغروب». . إن هذا الحشد الكبير والمتناسق من مواد (زمنية) أقيمت عليها الصورة الفنية ليؤكد أن القصيدة عند الشاعر تُولد دفقة موحدة المشاعر متحدة الأطراف. ومن هذا المنطلق تعد «الدفقة» صفة بنائية فنية تبرزها عناصر الصورة بعد تكوينها. . فمواد الزمن هنا ـ مثلا وعلى كثرتها ـ تتصل بالبناء الشعرى أكثر منها فكرة فلسفية فى القصيدة. ولو قارنا هذه المادة عنده بزمن (ت. اس. اليوت) فى رباعياته ـ على سبيل التوضيح ـ وجدنا هذا الاخير انـما يعرض «الأمس والحاضر والمستقبل» ليقول إن كلا منها هو «الآخرين»، وهما «فيه». . وتلك الفكرة الفلسفية هى جوهر المقطع عنده:

Time Present and time past
Are both perhaps present in time future
And time future contamed in the time past

أما زمن عبد الجبار فهو ـ كما ذكرنا ـ عناصر فنية . مواد مشكِّلة . . تستمد وحدتها من الاطار العام الذى ترسمه الصورة المكتملة، ولكنها تظل منفصلة وغير متداخلة فى بعضها البعض. ولهذا يظل الغد عنده أملا أشقر واليوم مقفرا، والأمس عالما أغبر. وحدات زمنية ثلاث تستتبع ثلاثة مشاعر مختلفة تخرج جميعا فى دفقة شعرية هى التى توحد بينها.

■ والقصيدة التى يختلف فيها البناء المقطعى ـ جوهريا ـ عن بقية الديوان هى «إلى الملاح التائه». . وقد بنيت على نظام مثنوى، فى كل بيتين تتحد قافية الشطرين الأولين، كما تتحد قافية الشطرين الأخيرين. . وهكذا:

أيها التائه فى بحر الحياة
تضرب المجدافَ يمنَى ويسار
خذ بأيدينا إلى شط النجاة
واشدُنا لحن كنار وهزار

■ وتقوم وحدة هذه القصيدة على عناصر عديدة فى مقدمتها التساوى العروضى فى عدد وميزان تفعيلات كل شطر منها (فاعلاتن/ فاعلاتن/ فاعلات/وأحيانا «فاعلاتن» أيضا). . وكذلك «شخصية الملاح» الموجه إليها الخطاب. . ومن حيث المادة الفنية للصورة الأدبية فهى تستخدم نفس العناصر اللغوية كثيرة الترداد High Frequency Words فى شعر الشاعر، وتشمل «البحر» ومشتقاته ومتعلقاته، و«الأجرام السماوية» وما يلحقها، كما تشمل أدوات وظواهر «الموسيقى» و«مؤشرات الزمن».

■ ولو حاولنا أن نطبق مبدأ «الترابط العضوى» بالمفهوم الذى كان شائعا فى فترة إنشاء هذه القصيدة (١٩٤٠م) لوجدنا أنها تحقق هذا الترابط بصورة جيدة، إذ تبدو لثنويات متطورة تطورا عضويا على أساس الحدث النامى المتجه نحو غايته. . فمن تخبط «يمنى ويسار» و«التيه» فى بحر الحياة. . إلى استلهام الهداية من السماء ـ «النجوم» وحسن هذا الكون ـ إلى أن نضرب صفحا عن قصور ظاهر فى عيشنا (المثنويان ٥و٦) حتى يقودنا الفلك نحو المستحيل. . وهناك نصل الشط «والجنة». ولعل هذا من الأسباب التى جعلت صاحب مجلة الرسالة يهتم بالشاعر وشعره، كما

أسلفنا.

ومضمـون هذه القصيدة يوحى لنـا ببعض مما ورد فى «ايزيس» لمحمد حسين هيكل، والتى ضمنها فى كتابه «ثورة الأدب».

● أما التركيب المقطعى لقصيدة «شقراء» فيقوم على «النداء» فى فاتحة كل مقطع: «شقراء يا..»، وهو أسلوب فنى وظفه الشاعر فى كثير من قصائده. ولا شك أنه منـاسب لفن «الحب» الـذى يخاطب فيه الشـاعـر طرفا بعيدا قد يكون الوطن أو الأصدقاء أو المرأة المثال. كما يتميز كل مقطع فيها بقافيته الخاصة. على حين يقوم الـوزن (أعنى وحـدة التفعيلة والبحـر) بتـوحيد الشعـور المـوسيقى، ولكن عدد (التفعيلات) قد يختلف من مقطع لآخر، فنجد كل شطر فى المقطع الأول يتركب من (متفاعلن) ثلاث مرات، مع وقوع «الخَبْن» الذى يحول التفعيلة الى (مستفعلن) وهو - بالـطبع - جائز. وهو نفسه التركيب الملحوظ فى المقطع الثالث.. أما المقطعان الثانى والرابع.. فيتركب كل شطر منهما من تفعيلتين اثنتين فقط بالاضافة الى سبب خفيف بعدهما (متحرك فساكن).. ومن حيث عدد أبيات كل مقطع جاء كل من الأول والثالث فى ثلاثة، والثانى والرابع فى ستة.

وهذا التلوين العروضى مع الاحتفاظ بجوهر البحر الشعرى الموروث يؤكد لدينا أن الشاعر - كما وصفه بعض دارسيه - ذو ثقافة واسعة، كما يؤكد اطلاعه على «الشعر الأندلسى» وتأثره بموسيقاه وأنماطه الفنية.

■ وللشاعر مراجعات تمس مجال اللغة واختيار المناسب منها بصفة خاصة. فإلى جانب اختيار البحور والاوزان الخفيفة والملائمة لموضوعاته نراه يطعم قصائده بكلمات ذات جرس موسيقى خاص يرجـع الى الاستخدام الجيد للبلاغة العربية كقوله «فحطم اليأس كأسى» (البيت ٨ متاهة) أو إلى دلالتها من حيث القوة والشمم (كالجبال) أو الحيرة والتيه، أو الحب والجمال، وفقا للحالة النفسية وموضوع القصيدة.

ومما عثرنا عليه هذا النموذج الخطي لمراجعات الشاعر:

قصيدة «لا نار» (شكل٣) (الصفحة التالية)

لا نار

ما في الحشا نار ولا موقد

وإنما السمار قد أبعدوا

وساحة الشاعر ما أقفرت

ما دام في رحبه السما فرقد

فردوسه

خمرة شعر الغربة

لكنّني من الآهات لا أتهجد

لا يركن القلب هوى عابر

والأمس ذكراه بنا تخلد

وإن نأى النائي فما عذره

إلا عهد يرجى به موعد

وكم يُفيض الهم من همه

فدع خليلي الهم لا حسرة

تعيد ما فات ولا تجدد

وقد يجتهد الشاعر فى اشتقاق أو تصريف لغوى يدفعنا للبحث فى المعاجم عن صحته، أو قد يفجأنا بتركيب لغوى غير مألوف ما نلبث ـ كثيرا ـ أن نسلم بصحته.. وفيما يلى أمثلة من هذه الحالات.

١ ـ فى البيت الرابع من «وحى العودة» يقول:

« بواد غير ذى زرع جذوعي» (المفروض جذوري)

واختيار كلمة «جذوعى» ربما بدا لنا مجرد موافقة للقافية العينية، بينما الأنسب هنا هو «الجذور» فنحن نعرف أن «جذور» الشاعر بمكة.. وفروعه فى الشرق والغرب.. لكن.. ألا يمكن أن نقول أيضا: إنه مع البعد والغربة لا يزال ينمو ويتفرع فى مكة أيضا؟.

٢ ـ إن عبارة لم أستطع تسويغها هى تلك التى جاءت فى البيت الثانى من قصيدة «متاهة» حيث يقول:

«وأرى السماء على بساط أزرق..»

إن السماء فيما يبدو ـ أو يخيل إلى الناظر ـ هى نفسها البساط الأزرق، فكيف تكون عليه أو غيره؟

■ ***على أن السمة الغالبة على البناء الفنى هى تلك اللمسة الغنائية الحالمة الراقصة التى تجعل قصائده أصلح ما يكون للغناء. (وتلك ملاحظة نشارك فيها غيرنا).. وتلك القدرة على تطويع اللغة والخيال الشعرى ليعبر الشاعر بهما وخلالهما إلى آفاق من النفس يكشف مكنونها، ويوحى بأسرارها.. وينبىء بحديثها.***

وإن جمال هذه القصائد، وصدقها فى الأداء والتعبير، وقدرتها على النفاذ إلى روح قارئها.. كل هذا ذلل كل صعوبة تفرضها منهجية بحثها ودراستها فكانت متعة حقيقية نعتقد أن القارىء سوف يشاركنا إياها.

فهرس عام

* * *